الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
المركز الجامعي أكلي محند أولحاج
معهد اللغات و الأدب العربي
قسم اللغة و الأدب العربي

الرومانسيّة عند الكسندر بوشكين و الغجر

مذكرة لنيل شهادة ليسانس

إعداد الطالبتين::
- موليد نادية
- لكبير مديحة

إشراف الأستاذة:
- دحامنية

السنة الجامعية: 2010/2009

كلمة شكر وتقدير

أولا وقبل كل شيء
نشكر المولى عزّ وجلّ
الذي وفقنا وألهمنا القدرة
على انجاز هذا العمل المتواضع
ثم نتقدم بالشكر الجزيل
إلى الأستاذة "دحمانية مليكة"
التي أشرفت علينا في انجاز هذا البحث ووقفت معنا
طوال مشوار العمل
كما لا ننسى
الأستاذ "شرفي شمس الدين"
الذي قدم لنا يد العون والمساعدة
ونشكر أيضا
كل عمال مكتبة المركز الجامعي "العقيد أكلي محند
أولحاج" معهد اللّ ّغات والأدب
العربي الذين صبروا علينا
مدة دراستنا وأخيرا نشكر
كل من مدّ لنا يد العون

إهداء

الحب ثقل يغوص في أعماق المشاعر فيرى الدّرر من النيل والصدق والأحاسيس الرقيقة

الحب جوهرة ثمينة تزداد قيمتها إن خلت من الشوائب

الحب حلقة من مسلسل الحياة الذي لا ينتهي وبعد

أهدي ثمرة جهدي إلى من احتلا أول مكان في قلبي، إلى من كرمهما الرحمان بذكرهما في القرآن بقوله "واخفض لها جناح الذّل من الرحمة" إلى التي شرفها العدنان بقوله تحت أقدامها الجنان أمي الحبيبة صاحبة الحضن الدافئ

إلى الذي شملني بعطفه ميسر دربي وموجهي في الحياة الذي وهب حياته لعطائنا أبي العزيز

إلى من ربتني وكانت بمثابة أمي الثانية منيرة

إلى الأنيقة ليلى صاحبة أجمل عيون صغيرة

إلى خفيفة الظل هدى ورفيق دربها ج يحي

إلى مصدر الفرح والابتسامة سهام

إلى الأعزاء على قلبي رمز التحدي منير المتألق العربي والمميز وليد

إلى شموع البيت وضيائها لحضر أسامة إبراهيم متمنية لهم التوفيق والنجاح

إلى الكتكوتين مليك، هارون وقرة أعيني ملاك

إلى خالي محمد وأولاده، خالتي نصيرة وأولادها خالتي حفصة وأولادها إلى جميع أعمامي

إلى شريكتي في العمل نادية

إلى محمد وأمين وعائلتيهما

إلى جميع صديقاتي : رزيقة، حياة، كريمة، سامية، رواية، سارة، فايزة

ألى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع: بالأخص فريدة وكريم

إلى أهل العلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله الذي وفقني

مديحة

مقدمة:

عرف العصر الحديث موجة من التغيّرات شملت جميع نواحي الحياة سواء "كانت فكريّة أو ثقافيّة، سياسيّة، اقتصاديّة وأدبيّة ولقد مسّت هذه التغيّرات كل القضايا التي تُطرح في المجتمع، وبما أنّ للأدب دور في الحياة الاجتماعيّة والذي يعتبر لغة الأنامل التي تعبّر عمّا يختلج في النّفس، هذا الأخير الذي عرف بدوره ثورة على التّقاليد وعلى الأوضاع السّائدة في تلك الفترة.

فالحديث عن الأدب والاتجّاهات الأدبيّة في أدبنا الحديث يقودنا للحديث عن المذاهب الأدبيّة، ومن بين هذه المذاهب التي ذاع صيتها المذهب الرّومانسي الذي يطمح للتّجديد والتغيير ليرقى بالأدب وليصبح أدب الخيال والعاطفة، ولقد انتقلت الرومانسيّة من بلد لأخر في أوروبا واتّخذت خصائص متميّزة في كلّ منها وخاصة في ألمانيا إنجلترا وفرنسا وغيرها من الدّول الأوروبيّة. فبرغم من وجود عصور تمثّلها إلاّ أنّها من خلال خصائصها تفصح عن نفسها في كلّ وقت وبمقدار مختلف ومازالت إلى يومنا هذا في أدب الكثيرين وحتّى في أدب القلّة فأثارها باقية دائما رغم تظاهر البعض بعدم إتباعها ولا يمكن إنكار ما قدّمته للأدب من ذلك التّجديد في الأدب والبلاغة، فالرومانسيون هم الذين حوّلوا النّقد إلى علم بعدما كان جامدا وهدّموا البلاغة القديمة وأنشأوا علم الأسلوب الحديث.

ويتعلق موضوع دراستنا بإبراز معالم الرومانسيّة عند "بوشكين" من خلال تحليلنا لقصيدته "الغجر" التي تكشف لنا عن ذلك، ولقد إقترن اسم هذا الشاعر العظيم بالأدب الرّوسي الذي أهدى له ثمرة أعماله حتى غدا شاعرا مجيدا تفخر به روسيا.

ومن هنا كان تساؤلنا:

ما هي مظاهر وتجليّات الرومانسيّة في أدب بوشكين؟.

ورغبة في التعرّف والغوص في هذه الشخصيّة وإنتجاتها وكذا دراسة المظاهر الرومانسيّة والإجابة عن السؤال الذي كان يجول بخاطرنا قمنا بهذا البحث الذي قسّمناه إلى ثلاثة فصول. تناولنا في الفصل الأوّل الرومانسيّة بصفة عامة، الرومانسيّة الغربيّة وأهم روادها وعوامل نشأتها فخصائصها وقضاياها، أمّا الفصل الثاني فقد قدّمنا فيه ما يخصّ أوضاع روسيا اجتماعيا، سياسيا وأدبيا ثم تطرقنا إلى الرومانسيّة في الأدب الرّوسي واتبعنا ذلك بإعطاء نبذة عن حياة "بوشكين" وأدبه وأخيرا الفصل الثالث الذي خصّصناه للجانب التّطبيقي فدرسنا فيه قصيدته الغجر باستخراج خصائص الرومانسيّة منها بعد العرض جاءت الخاتمة خلاصة لأهم النّتائج المتوصّل إليها.

أمّا فيما يخصّ المنهج المعتّمد فهو المنهج التّحليلي الوصفي كونه ملائم للدّارسة التي قمنا بها معتمدين فيه على عدّة مراجع منها:

- بوشكين "الغجر" وقصائد أخرى لرفعت سلاّم.
- "الرومانتيكيّة" لمحمد غنيمي هلال
- "محاضرات في تطوّر الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتّجاهاته النقديّة" لحسام الخطيب.
- "الرومانسيّة بين الأدب العربي والغربي" لإيليا الحاوي
- "الأدب تعريفه، أنواعه ومذاهبه" لأنطنيوس بطرس.

ولم يخلوا هذا البحث من بعض الصّعوبات أهمها صّعوبة الحصول على مراجع متخصصة.

الفصل الأول: الرومانسيّة

I- ماهية الرومانسيّة:

1- تحديد المصطلح

2- الرومانسيّة الغربية

II- عوامل نشأة الرومانسيّة:

1- العوامل الاجتماعية والسياسية

2- العوامل النّفسية

3- العوامل الأدبيّة

4- عامل الأسفار والرحلات

5- المجتمعات والجماعات الرومانسيّة

III- خصائص ومميزات الرومانسيّة:

1- الأحاسيس والمشاعر

2- الخيال

3- الأحلام

4- اللّون المحلي

VI- قضايا الرومانسيّة

1- القضايا الرومانسيّة العامة

2- القضايا الفنيّة

الفصل الأول

الرومانسيّة

ـ ماهية الرومانسيّة:

1- تحديد المصطلح:

الرومانسيّة كلمة يرجع أصلها إلى اللّغة الفرنسيّة romance خلال ق 17، كانت تطلق اللّفظة وتكتب أحيانا romon "وفي عهد جون جاك روسو" (1712، 1778)، "وديدور (1713، 1784)، كانت تدلّ اللفّظة الانجليزيّة romantic على الأماكن ذات الجمال الأصيل ومنذ عام 1867 كان مؤرّخو الأدب يذكرونها مقابل لكلمة كلاسيكي ثم انتقلت إلى اللّغة الألمانيّة "romantich" لتشير إلى كل ما يتصل بعالم الفروسية في العصور الوسطى، أما في القرن التاسع عشر فكانت تدل على الاتجاه الأدبي المعاكس للكلاسيكيّة وأولّ من قام بمعارضتها بالكلاسيكيّة هو "شليجل" الذي اعتبرها اتّجاها جديدا في الأدب ثم تأثرّت به "مدام دوستايل" واعتبرت الرومانسيّة الشّعر الذي يحيا فيها الماضي الوطني وعارضتها بالمذهب الكلاسيكي ثم انتقلت هذه الكلمة إلى ايطاليا سنة 1810 بعد ذلك إلى اسبانيا فكانت تدلّ على الإنسان الحالم.[1]

يرى نقّاد آخرون أن الحركة الرومانسيّة بدأت في انجلترا بموت الشّاعر "ولتر سكوت" عام 1832، ويرى البعض أنّها بدأت قبله بأعوام، وقد عرفت هذه الفترة كبار الرومانسيين أمثال "وورد زووردت" (1710، 1850)، " شللي" "وليتش" ، فاشتقت اللّفظة من اختلاط اللّغة اللاتينية التي كان يتكلمها الايطاليون بلغة البرابرة الشماليين فكان لهذه اللّغة صور من التّعبير عن أدب جديد هذا ما أظهر مقاومة عنيفة بين البلدان الأوروبية ضدّ الأصول الأدبيّة السّائدة، إذ كانت في فرنسا وألمانيا أشد عنفا مقارنة بانجلترا هذه الحركة الجديدة أيدها الكثير ومنهم "غوتيه" (1749، 1832)، الذي يرى أن الفرق بينهما وبين الاتّجاه القديم كالفرق بين السّليم والسّقيم [2]

ولقد وردت الرومانسيّة بصفتين مختلفتين الرومنطقيّة والرومنتكيّة ولهذا اتفق الجميع على استحالة وضع تعريف شامل ودقيق للرومانسيّة فكلّ التّعاريف نسبيّة وغير تّامة والتّعريف المتفق عليه بوجه عام هو القول " بأنّ الفلول الفارين من الكلاسيكيّة" ووصفها "برونتير" بأنّها اكتشاف للذّات وقال آخرون بل اكتشاف للطبيعة بينما قال غيرهم رجعي للعصور الوسطى واعتقد "واطسن" "ودانتون" بأنها إعادة كشف للعجائب وقال ناقد أمريكي من رجال الدين أنها أدب المنى ونستطيع تطبيق هذه الأوصاف على الكتّاب "فيايرون" "وهيجو" (1802، 1885)، " يتميزان بالنزعة الذاتية الواضحة كما كان " شاتوبريان " (1768، 1848).

"ووردزوردث" مولعين بوصف مناظر الطّبيعة ومثل "سكوت" في انجلترا و "تيك" في ألمانيا إعادة إحياء العصور الوسطى وهناك تطلّع وشوق لظهور عالم أفضل عند "شيلي" هروبا من الواقع إلى عالم يتجاوز زمانا ومكانا.

تعتبر الرومانسيّة فكرة غامضة نتيجة كفاءة وتجارب أصحابها توحي لدا استعمالها بمناظر معينة فالغابات والشواطئ، والخيال كلها توحي برحبتها ووحشيتها بالجوّ الرومانسي تملي أن العزلة الرومانسيّة مشحونة بالحياة، فهي عزلة قابلة للتعبير والإفصاح عنها.[3]

تعددّت معاني الرومانسيّة على حسب الأدب الرومانسي المختلفة واختلاف الأشخاص و الآراء حتى قيل أنّ هناك أنوعا من الرومانتكيّة بعدد الرومانتكين.

([1]) - محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، دار العودة بيروت، دط، 1993، ص 5. 6 (بتصرف)

([2])- أنظر: ناصر الحلاني، من اصطلاحات الأدب الغربي، دار المعارف مصر، دط، 1559، ص 49. 50.

([3])- روبير جالكنر وجير الدإنسكو، الرومانتكية ما لها وما عليها، ترجمة دار أحمد حمدي محمود مطابع للهيئة المصرية للكتاب، 1986، ص 206. 207 (بتصرف).

الفصل الأول
الرومانسيّة

إذ لا يمكن حصر الرومانسيّة في تعريف خاص لأنّ ذلك يتّطلب معرفة كل الاتجاهات وربطها بالحقائق التّاريخية والاجتماعية يقول "شارل نوديه" إذا كان الأدب صورة للمجتمع أمكن أن يقال أنّ الرومانتكيّة ليست سوى كلاسيكيّة المحدثين أي تعبير عن مجتمع جديد.[1]

وإذا كانت فرنسا السّباقة في تصدير الكلاسيكيّة إلى انجلترا وألمانيا فإنّها هذه المرة تلقت عناصر الأدب الرومانتيكي من ألمانيا وبهذا كان من أهم روادها نجد مدام دوستايل التي كانت أول من بادر للحركة الرومانسية والشاهد على ذلك كتابتها في الأدب 1800 وعن ألمانيا 1810 بما يحملانه من أراء تثبت ذلك. والعالم الرومانتيكي الأخر هو " شاتوبريان" الذي كان سفير ووزير للخارجية، مما أتاح له التنقل بين الشرق والغرب وأوروبا فطلع على مختلف الثقافات وكان ذلك أثر واضح في مؤلفاته منها عبقرية المسحية 1802، ورنيه واتالا" مذكرات ما وراء القبر" [2] وفي الفترة الممتدة ما بين 1820 و 1830 ظهر "فيكتور هيجو" ممثلا للطبيعة الإنسانية في الشعر من خلال ديوانه التأملات 1856 وبعض قصصه الاجتماعية كالبؤساء 1862، أعمال البحر 1866، الرجل الضاحك 1869 إلى جانبهم برزت أسماء أخرى حملت مقوّمات المدرسة الجديدة ومنهم ستندال في راسين، شكسبير 1822، شارل نوديه في العجيب في الأدب 1827. "الفريد دفيني" (1797، 1863)، في كتابه الحقيقة في الفن 1829، الفونسو دي لا ماترين في الانسجامات الشعريّة الدينية 1830.

كما لعبت المجالات الأدبيّة دورا في جميع الرومانسيين وفي ترويج أفكارهم ومن بينها اليومية 1800، الحفاظ الأدبي 1820، ومنها اختلفت الاتجاهات لقد جمعتهم فكرة واحدة هي المطالبة بالفن الجديد أي الفنّ الذي يتماشى وعصرهم وتقدمهم الفكري والحضاري.[3]

2- الرومانسية الغربية:

أ- الرومانسيّة الانجليزيّة:

كان النّصف الأولّ من القرن التّاسع عشر في بريطانيا مشحونا بالاضطرابات الاجتماعية والاقتصادية لهذا قامت السلطة الحاكمة بإصلاحات وتعديلات في مختلف ميادين الحياة. فظهرت تطورات اقتصاديّة وعلمية مثل تحسين طرق المواصلات البريّة والبحريّة التي أتاحت لهم فرصة التبادل في الأفكار والتطلعات، لما فتحت عيون الانجليز على التّطلع كما يجري في البلدان الأخرى.

هذه التّغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية رافقتها تّغيرات أدبيّة تمثلت في ظهور مجلات حديثة أثرت تأثيرا كبيرا في الأدب والنقد فتحرر الأدب من القيود والموضوعات القديمة، وبذلك أعادت الرومانسيّة روح الإبداع للأديب الانجليزي الذي فقدها منذ عصر "شكسبير" (1564، 1616)، إذ فقد فهم الانجليز الرومانسية على أنها انعكاس لكل ما هو فطري وغير متكلف والتّحرر في مجال الخيال والشّعور ويمثل هذا المفهوم عند كولريدج (1734، 1772)، في كبلخان "و الملاّح العجوز" وهما صورتان، الأولى مثلت الشّرق العجيب والثانية البحر المتوحّش وقد أطلق شعراء آخرون العنان لعواطفهم وانفعالاتهم أمثال " يايرون"، "كيتش" "وشللي"[4]

ب- الرومانسيّة الفرنسيّة:

([1])- محمد غنيمي هلال، الرومانتكية، ص 6 إلى 8 بتصرف.

([2])- ينظر: انطونيوس بطرس، الأدب تعريفه وأنواعه مذاهبه المؤسسة الحديثة لكتاب طرابلس لبنان، 2005، ص 274. 275.

([3])- زبير دارقي، محاضرات في الأدب الأجنبي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، دط، 1991، من ص 40 إلى 42 (بتصرف).

([4])- حسام الخطيب، محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية، مطبعة الطرابين، ص 190. 192 (بتصرف)

الفصل الأول
الرومانسيّة

كان للثورة الفرنسيّة 1789 دور هام في تطوير الأدب والفكر الفرنسي نتيجة ظهور ظروف اجتماعيّة وسياسيّة جديدة في أعقابها والحقيقة أن الرومانسيّة الفرنسيّة لم تزدهر إلاّ في الربع الثاني من القرن التاسع عشر (1827. 1842).

وامتازت الرومانسيّة الفرنسيّة بالفردية والانفعالية والنزعة الإنسانية الانطوائية الهروبية، خصوبة الخيال والتّعلق الشديد بالطبيعة، ونشطت الرواية في هذه الفترة نشاطا كبيرا، وتنوعت أشكالها كما ظهرت إبداعات "مدام دي ستايل " جورج صاند" وكان شاتوبريان" أعظم كاتب نثري في تلك الفترة.[1] وفي ميدان الشّعر، أعيد للشّعر الغنائي مكانته، وبرز عدد من الشّعراء العباقرة "فيكتور هيجو" الذي يعتبر شاعرا مبدعا، تناولت قصائده موضوعات مختلفة، بحيث تكمن مهارته في الخيال والبلاغة، كما كتب روايات رومانسيّة اجتماعية أهمها "البؤساء" ومسرحيات أهمها "كروموبل" التي أعلن في مقدمتها الثّورة على القواعد الكلاسيكيّة.[2] وبالإضافة إلى فيكتور هيجو نجد إلى جانبه "الفرددي موسيه" (1810، 1875)، و "دي فينيي" كما يعدّ " لامارتين" في طليعة هؤلاء لأنّه كان رومانسيا حتى العظم إذ يقول:

- أيتّها الحيرة ؟
- لم تكد السنة تنتهي مدارها ؟
- وقرب الأمواج الشيّقة التي كانت مرمعة أن تراها ؟
- أنظري ها أنى أبدو وحيدا ؟
- أجلس على تلك الصّخرة ؟
- حيث رأيتها تجلس قبلا ؟

إذ نجد أن لامارتين قد تأنّى بانفعالاته ومكملا على الطّبيعة ويطرب لصوت الطّبيعة وقد خاطب الأمواج والبحيرة على مناكب الصّخور. ذلك العاشق الولهان الذي بكى على غياب حبيبته التي اختطفها الموت عنه فجلس أمام البحيرة يخاطب ويبكي.[3]

ج- الرومانسيّة الألمانية:

بدأت في ألمانيا مع أواخر القرن الثّامن عشر على نحو ما حدث في انجلترا وفرنسا لكن اختلفت عنها في أنها بقيت بدون سلطة مركزيّة حتى منتصف القرن التّاسع عشر وقد ظهرت في ألمانيا فلسفات عديدة منها دعوة "فيخته" إلى تقديس الفرد ومحاولة "هيجل" إعطاء قوّة الإستمرار للمثالية وتقديس الدّولة الألمانية ودعوة "شلينغ" إلى الصوفيّة والرومانسيّة التي تشدّد على أهميّة الفرد وحقه في الحريّة هروبا من الظلم السياسي والاجتماعي، ومن أبرز ممثلي الأدب الألماني الحديث هو "غوتيه الذي طغى على جميع شعراء بلاده.[4]

ومن جهة أخرى كان للمسرح دور في نشر الرومانسيّة بعد محاولة "فولتير" (1694، 1778)، منذ القرن الثّامن عشر أن يجدد في المسرح الفرنسي وبقيت هذه المحاولة عميقة لأنّ الرومانسيين غنائيون وجدانيون. " فنهض الشّعر الغنائي نهضة عظيمة بفضل الرومانسيين لاعتدادهم بالفرد ومشاعره ولفهمهم الخيال على نحو يناقض فهم الكلاسيكيين[5] إذ ضلّت

([1])- حسام الخطيب، محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية، ص 210، 212، (بتصرف).

([2])- المرجع نفسه، ص من 213 إلى 216 (بتصرف)

([3])- يوسف عيد، المدارس الأدبية ومذاهبها القسم التطبيقي، دار الفكر اللبناني بيروت، ط1، ص 81.

([4])- حسام الخطيب، محاضرات في الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية، ص 19 20.

([5]) - فايز ترحيني، الدراما ومذاهب الأدب، ص 178.

الفصل الأول
الرومانسيّة

المحاولات متكرّرة مثل محاولات " موسيه" وغيرها ولكنّها لم تلحق بالركب الكلاسيكي فضلّ المسرح يتّرجح بين النّجاح والفشل حتّى وضع "هيجو" مسرحيّة "كروميول" وفيها وضع مقدمته المأثورة شارحا نظريته الرومانسيّة الرائجة في المسرح الرّومانسي لم ينل القسط الكبير والمساحة العريضة إلا أن الرومانسيّة تبقى ذلك الأدب الذي غنى العواطف وعانقت الرّوح الكون بالحبّ والنّشوة والتّفاعل.

II عوامل نشأة الرومانسيّة:

تعود أسباب نشأة الرومانسيّة في أوروبا لعدّة عوامل منها: الاجتماعيّة والسياسيّة ومنها ما هو راجع إلى التيّارات الفلسفيّة التي تشيد بالعواطف وتمجّدها، ومنها ما يرجع إلى منابع أدبيّة جديدة، أتيح للآداب الأوربية التشبّع بها، قبل ظهورها كمدرسة لها قواعدها المحددّة.

1- العوامل الاجتماعيّة والسياسيّة:

شهد القرن الثّامن عشر في أوروبا، ثورة على القيم والطبقات الاجتماعية السائدة والاستخفاف بالمبادئ القديمة والانحلال الخلقي، فقامت على إثرها جهود هدفها التّحرر السياسي والفكري واسترجاع الحقوق السياسيّة والاجتماعيّة على حساب الطبقة الأرستقراطيّة.

وبظهور الطبقّة البرجوازية في القرن الثّامن عشر اتّجه الأدب اتّجاها شعبيّا في التّعبير عن آمال الشعب، متحرّرين بذلك من القيود القديمة وللثوّرة الفرنسيّة تأثير عميق في الأدب الرّومانسي، في كلّ أوروبا لما حملته من أفكار جديدة في علاقة الأدب بالمجتمع، ودفعت أدباء انجلترا إلى الثوّرة كان لها صدى في أدبهم، كما امتدّ تأثيرها إلى الأدباء الألمان الذين رأو فيها فجر عهد جديد، حتّى سّموا باريس عاصمة العالم، واعتقدوا أنّ فرنسا ستكون أثينا الجديدة

هذا التّطور أدّى على التّأثير في الرومانسيّة، إذ وجّه الكتّاب إلى إحياء تراثهم الوطني والأدبي القديم، والاعتماد على أنفسهم، وساعدت الثوّرة على تدعيم الحريّة العامّة وحريّة الكاتب، والإحاطة بالنّظم السياسيّة والاجتماعيّة السّابقة.[1]

إذن فأهم إنجاز حقّقته الثوّرة الفرنسيّة هو إعطاء الفرد حقّه في الوجود والكرامة والمساواة أي أنّها سعت لتحقيق إنسانيته، وحمايته، فتحرّر الفرد واندفعت انفعالاته المكبوتة عبر العصور.[2]

2- العامل الفلسفي:

كانت الفلسفة أقوى دعامة للرومانسيين في ثورتهم الشعوريّة والعاطفيّة، وأساس خيالهم وأحلامهم وأحاسيسهم ظهر أثرها في أدب "روسو" الفرنسي "ريتشارد" "شيلي" الألماني فشغلت الفلاسفة والفنانين طوال القرن الثّامن عشر مسائل عديدة كمسألة: ما الجمال؟ وما مقاييسه ؟... فبعد أن كان الجمال موضوعيا أصبح ذاتيا وبعد أن كان مطلقا أصبح نسبيا وبعد أن كان تجريديا أصبح تجريبيا، أساسه الحاسة النفسيّة في هذا تنحصر المقوّمات الذاتيّة الرومانسيّة لاعتدادها بالعاطفة وإيمانها بحقوق القلب وثورتها على قيود المجتمع[3]

3- العوامل الأدبيّة:

إنعكست العوامل الاجتماعيّة والفلسفيّة على قيام عوامل أدبيّة جديدة أتاحت للرومانسيّة الظّهور في صورة كاملة منها اكتشاف "شكسبير" في القارة الأمريكيّة من طرف "فولتير" ورسائله الفلسفيّة لأنّ شكسبير قد أثّر في الأدب الرّومانسي بعبقريّته في التّحليل وتفرده في وصف

([1])- محمد غنيمي هلال، الرومانتكية، ص 31 إلى 34 بتصرف.

([2])- أنظر: ايليا الحاوي، الرومانسية في الشعر العربي والغربي، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 27، 28.

([3])- أنظر: محمد غنيمي هلال، المرجع السابق، ص 36 إلى 38.

الأخلاق والعواطف الإنسانيّة، وعلى الطّابع الذّاتي في استحياء نماذجه البشريّة من الطّبيعة دون الرّجوع إلى تقليد الآداب القديمة.

كما أثّرت النّواحي الفنيّة في الأدب الرّومانسي، عندما مزج "فكتور هيجو" المأساة بالملهاة في مسرحيّاته، وقد تأثّر به الألمان أمثال "شيلي" و "هردر" وتأثروا كذلك بـ "ستيرن" الألماني ثم "ديدرو" "وروسو" الفرنسي، حيث كانوا صورة مصّغرة للحركة الرومانسيّة الألمانية نادوا بمبادئ ثورية في الأدب والمجتمع، منكرين بذلك القواعد الكلاسيكيّة.

وهناك عامل اكتشاف الأدب القديم لدول شمال أوروبا، الذي ساهم في إلهاب العاطفة وتغذيّة ميولها الحزينة، ووجّهها إلى التّطلع إلى ما لا نهاية وجعلها تتجاوز معاني البطولة الإنسانيّة، وهذا ما كان له أثر في الرومانسيّة عندما وحدّت الملاحم الشماليّة، وأكّدت الشّعور وألهبت العواطف، وحبّبت العزلة إلى النّفوس.[1]

4- عامل الأسفار والرحلات:

كانت غايتها الموازنة بين العّادات والمبادئ والفلسفات والديانات، من أجل الوصول إلى معنى النسبيّة في الأدب والفنّ وأدى ذلك إلى الشّك في كل شيء، وقد أطلق الرّحالة الخيال في الحلم بحياة أفضل من مناطق بعيدة، هذه الرحلات كانت في الشّرق، فصوّرت عادته وتقاليده في قصص ألف ليلة وليلة السّاحرة المشحونة بالخيال والأحلام وبترجمة هذه القصص إلى لغات أخرى، أثّرت في الغرب تأثيرا كبيرا في خياله وأحلامه وفنّه.[2]

كما كانت فرنسا منتج أدباء أوروبا في مطلع الرومانسيّة خاصة في عمر الثوّرة مما أدّى إلى إيجاد ثقافة جديدة.[3]

5- الجمعيات والجماعات الرومانسيّة:

دعمّت ودعت إلى نشأة الرومانسيّة فأسّس الرومانسيون ندوات تضمّهم تشبه صالونات ذات اتّجاه أدبي متماثل يقرؤون فيها إنتاجهم، ويتناقشون حوله وكان " فيكتور هيحو" في الثّامن عشر من عمره عندما أسّس "المحافظ الأدبي وانظّم إليه "ديكامب" "فيني" "لاتوش"، شينه" لكن هذه الجماعة لم يكن لها تأثير فعّال يلفت الأنظار.

وفي عام 1832 أسّست جمعية "الآداب الجميلة" من بين أعضائها "هوجو" وعام 1823 أسّست جماعة "لاميزفرانسير" التي أكّدت القيمة الفنيّة للأدب، القائمة على ذاتها فكانت المؤلفات الرومانسيّة تتكاثر، ولم يعد من الممكن تجاهلها، ومنذ عام 1825 تشكّل إطار رومانسي فعلي في منزل " شارل نوديه " ضمّ قوما من سائر الفئات.[4]

وكان للترجمات تأثيرا كبيرا منها الترجمات التي نقلت عن الآداب الإسكندنافية حيث ترجم " ماغفرسن" عام 1760 أشعار الشاعر الإسكندنافي في الشبه مجهول وهو " أوسان" الذي غنّى وطنه في شعر بكائي عذب عميق الإنفعال والخيال. [5] هذه هي أهم العوامل التي أثرت في نشأة الرومانسيّة والتي ظهرت ثمرتها باعتدادهم بأنفسهم وتصوير عواطفهم ونشدانهم للحريّة.

III- خصائص ومميّزات الرومانسيّة:

([1])- محمد غنيمي هلال، الرومانتيكيّة، ص 39، 47، (بتصرف).

([2])- أنظر: المرجع نفسه، ص 34، 35.

([3]) - ايليا الحاوي، الرومانسيّة في الشّعر العربي والغربي، ص 38.

([4])- محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص 31، 33 (بتصرف).

([5]) - أنظر: المرجع نفسه، ص 41.

الفصل الأول
الرومانسيّة

إذ صحّ أنّ الكلاسيكيّة، في القرن السّابع عشر، كانت فرنسيّة قحّة، فإنّ الرومانسيّة أروبيّة المنشأ، دخلت إلى فرنسا بذورها من انجلترا وألمانيا عن طريق كتابات "مدام دوستايل" "وجوته" "ولترسكوت" وقد وجدت التّربة الخصبة، ولاسيما بعد الثّورة، ولا ننسى أنّ القرن التّاسع عشر تمخّض عن ثلاث مدارس أدبيّة، الرومانسيّة، الواقعيّة، الرمزيّة. تداخلت أحيانا فيما بينها وبات من العسير تحديد بداية كل مدرسة تحديدا دقيقا.[1]

والمهمّ في الأمر أنّ التّحول الجوهري حصل في الأدب، فكان من نتائجه إنحصار التّأثير الكلاسيكي مفسحا المجال لتيار جديد يتلاءم وروح العصر، وأهم ما ميّز الأدب الجديد:

1- الأحاسيس والمشاعر:

يعتمد الأدب الرّومانسي على العاطفة الفرديّة الذاتيّة والدّافع على ذلك هو عدم الرضى بالحياة في عصر الرومانسيين، والقلق أمام أعمالهم والحزن الغالب على أنفسهم، نتيجة عدم توازن نفسية هؤلاء الذين طغى شعورهم عليهم طغيانا دفعهم إلى النّقمة على كل ما هو موجود، والتّطلع إلى ما لا نهاية، خاصّة في السياسة والخلق والأدب، فنادى "كولردج" عام 1801: بأنّ الحقيقة نوع من الوحي، ويرى " نوفاليس": إن الشعر في تعبيره عن الخصائص الفرديّة يتجاوز المعلوم إلى المجهول... وهو ينفذ إلى تمثيل ما لا يستطيع تمثيله، وإلى رؤية ما لا يرى، لهذا كانت صلة قويّة بالحاسّة التي تتوفّر إلاّ للأنبياء كما كانت له صلة بالمعنى الدّيني والإنجذاب الرّوحي.[2] يقول "موسيه" في "نامونا"

"اعلموا أن القلب هو الذي يتكلّم ويتنهّد ويذوب حين تكتب اليدّ... "

ولم يكتفي "موسيه" بهذا بل شبّه الشّاعر في ليلة أيار بطائر البجع الذي ينبش قلبه ليطعم فراخه، فيقول "أيّها الشّاعر، هذا ما يفعله الشّعراء الكبار" [3]

2- **الخيال:**

كانت نتيجة العزلة وطغيان الشّعور والعاطفة لدى الرّومانسي فضيقه بالعالم الحقيقي أدّى بها إلى الإلتجاء إلى الأحلام، لكي يعوّض بما فقده في عالم النّاس الموجودين حوله، وبالتّالي صار عالم أحلامه أحبّ إليه من عالم الحقيقة المحدودة، وجد فيها لذّة لا يريد التّخلي عنها، يقول "روسو" في هذا "لو تحوّلت أحلامي إلى حقائق لما إكتفيت بها، بل لظللت أتخيّل وأحلم"[4]

"فكولريدج" "وشيلينغ" يعتبران أن الخيال اللّغة الوحيدة لنقل المشاعر القويّة الدفينة كذلك مجال الإبداع وهو الذي يمنح العمل الفني وحدته وسيلة أدرج الحقائق إذ أن " كولريدج" يقسم الخيال إلى نوعين: الخيال الأولي والخيال الثانوي.

أ- **الخيال الأولي:** نجد فيه القوّة البارزة في كلّ إدراك إنساني فالخيال الأوّلي هو القوّة الحيوية والعمل الأساسي في كلّ إدراك إنساني وهو ذو وظيفة علميّة"[5]

ب- الخيال الثانوي: الذي ينصّ على أنّه "صدى للخيال السّابق ويصطحب دائما بالوعي الإرادي، وهو يتفق مع الخيال الأوّلي في نوع عمله، ولكنّه يختلف عنه في درجته وطريقة العمل لأنّه يحلّل الأشياء فهو يؤلّف بينها ويوحدها ويتسامى بها ليخرج من كلّ ذلك بخلق جديد.[1]

([1]) - أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه مذاهبه وأنوعه، ص 310.

([2]) - محمد غنيمي هلال، المرجع السّابق، ص 53، 56. (بتصرف).

([3]) - محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص 311.

([4]) - المرجع نفسه، ص 73، 74. (بتصرف).

([5]) - عبد العاطي شلبي، فنون الأدب الحديث بين الأدب العربي والغربي، المكتب الجامع الحديث، ط1، 2005، ص 101.

الفصل الأول
الرومانسيّة

ومن هنا لابدّ من تقديم الخيال على العقل والهروب من الواقع "والإتّجاه إلى الحلم وطلب الإنعتاق والرّحيل عبر المكان بزيارة البلدان البعيدة أو عبر الزّمان بالإرتداد إلى القرون النّفيسة"[2]

فالرّومانسيون في أغلب الأحيان نجدهم متّعلقين بالمثل العليا والإبتعاد عن الواقع، وكثير ما يحسّون بأنفسهم فوق عامّة النّاس وأنّهم يتّوجهون إلى أجيال يخاطبونها في أحلامهم، وربّما أهمّ مبادئ الرّومانسيين الإيمان بأنّ الإلهام والشّعور هما مصدر ومنبع الشّعر الصّادق الذي تظهر عليه الذاتيّة الإنسانيّة والعاطفة.

3- الأحلام:

إتسّع في أدب الرّومانسيين المجال للأحلام، حتى شغلت عقولهم، وأصبحت موضوعا خصبا لفلسفتهم، وجانبا هاما من جوانب شخصيّتهم وكان للرّومانسيين الألمان فلاسفة وشعراء، فضل السّبق في هذا الميدان ثم تبعهم الرومانيون الفرنسيون، ويعدّ الكاتب الفيلسوف "هاردر" من الأوائل الذّين اعتدوا بها، واعترف: " بأنّها قوّة عجيبة فيها تكتشف ثنائية أنفسنا، لأنّها حوار تقوم به، ونمثل فيه المتكلّم والسّامع معا" وفي موضع أخر قال: " الأحلام مملكة مجهولة المعالم ولكن منشأها فينا" كما قال " ومن عالم الأحلام نستفيد أكثر المعلومات جديّة عن أنفسنا".

ويعدّ "جان بول ريشتر" في طليعتة كبار الرّومانسيين الذين اعتنوا في آدابهم بالأحلام فأحلامه الموجودة في قصصه هي تجارب نفسية تدّل إحساسه المشبوب بالنعيم المفقود في هذا العالم.

إذن قصد الرّومانسيون بيان فضل اللاّشعور وسيطرته على الشّعور وكان همّهم في دراستهم للأحلام هو كشف جوانب الشخصيّة، وصلة هذه الحياة بالغيبي.[3]

4- اللّون المحلي:

تباهى الكلاسيكيون بأنّ أدبهم إنساني عالمي لا ينحصر بمدلولاته في بلد معيّن وشخصياته يعيشون في كل زمان ومكان لأنّ النّفس البشريّة، لميولها وغرائزها هي واحدة تحت كل سماء ولما جاء الرومانسيّون أحدثوا إنقلابا كبيرا في هذا الميدان إذ دعوا إلى ترك التراث القديم والإهتمام بتصوير الإنسان الحديث في بيئته ومجتمعه وبلده. [4]

5- التّعبير الحرّ:

ربما فضلّ الرّومانسي المضمون الإنساني على التّعابير الفخمة وكل همّه أن يلامس وجدان القارئ لا عقله ولكن لا يظنّن أحد أنّه يهمل اللّغة بل على العكس فإنّ لغته متينة يحملها خيال المبدع وعاطفة ملتهبة وجيّاشة وصور تكتنفها غلال ضبابته من الرّؤى.

إذا كانت حياته توقا لمعانقة الوجود الكلّي، وانثياك عاطفيا لا يتوقّف فإنّه توسّل التّعابير التي يمكن أن تحمل المعنى المراد فجاءت موحية تنقل بوح النّفس بعفويّة وصدق ولم يجد في اختيار ألفاظه كبيرة عناء الأجر في أن يقول ما يشاء.

وممّا لا شكّ فيه هو أنّ لغة العقل تختلف عن لغة القلب فالأولى جافّة والثانية حيّة يلوّنها الحلم والخيال وتحرّكها العاطفة والمعروف أنّ الإبداع في أي فنّ من الفنون بحاجة إلى مناخ من

([1]) - المرجع نفسه، ص 101.

([2]) - نسيب نشاوي، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، الاتباعية الرومانسية، الواقعية والرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1984م، ص 07.

([3]) - محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص 94، 105. (بتصرف).

([4]) - أنطونيوس بطرس، الأدب تعريفه مذاهبه أنواعه، ص 313.

الفصل الأول
الرومانسيّة

الحريّة في التّفكير والتّعبير وهذا ما نعم به الرّومانسيون فجاء أدبهم متنوّعا يتجلّى فيه الجمال والإبداع.[1]

VI- قضايا الرومانسيّة

أ- قضايا الرومانسيّة العامّة:

خلّف الرّومانسيون قضايا عديدة كانوا روّادها في الآداب الأوروبيّة وهي:

1- الفرد والمجتّمع:

إن علاقة الفرد بمجتمعه لها صلة بالشخصيّة الرومانسيّة حيث خلقت هذه الشخصيّة أمالا جعلتها تثور على المجتمع الذي نعيش فيه واعتقد "روسو": أن الإنسان الفطري كان سعيدا لأنّ حاجاته كانت محدودة... لكن منذ اللّحظة التي أصبح فيها الإنسان محتاجا لمساعدة الآخرين انتفت المساواة وأصبح ضروريا، وتحوّلت الغابات الفسيحة إلى حقول ضاحكة" [2]

ونقمة الرّومانسيين من المجتمع بمظالمه لا تعتبر دعوة إلى الفوضى الفرديّة ولا إلى الرّجوع إلى الحياة البدائيّة، بل هي دعوة إلى خلق فطري تتوفّر فيه سعادة النّاس، وهذا مستمدّ من عواطفهم الإنسانيّة وما فطروا عليه من حسن الأفعال وقيّم الفضائل فالمجتمع عندهم مسؤول، يحكمون عليه باسم المبادئ الخيّرة التي يؤمن بها الفرد الصّالح، لكن نظم مجتمعهم أفسدت تلك الطّبيعة الخيّرة في الإنسان.

وما يفسّر ضيق الرّومانسي بالمجتمع إنما هو ثوريّة على الحدود التي تقف ضدً حريّة الفرد وسعادته فالفرد عندهم أساس الإصلاح الذي ينشدون فإذا صلح الفرد صلح المجتمع[3]

2- الدّين عند الرّومانسيين:

إنّ خوض الرّومانسيين أمور الغيب والقدر أدّى إلى إتّساع حدود أدبه، فكان هذا فتحا جديدا لأدب لم تعرفه الآداب الأوروبيّة من قبل فدعا "روسو" إلى الدّين الطّبيعي أو شريعة القلب، ودعا "فولتير" ديدرو" إلى التّوحيد، وهذا ما أطلق عليه التّمرد الميتافيزقي كان الرومانسيّون بحاجة إلى عقيدة، فاعتقد "فكتور هيجوا" بالله الواحد فقد سخط على القدر بإطلاق العنان للخواطر فيما يتعلّق بمصير الإنسان مثله مثل "بايرون" الذي إختار قابيل ليتكلّم بلسانه ويصوّر لنا ضحيّة القدر فمن الحوار الذي دار بين قابيل وإبليس نحسّ بحقده على نفسه يقول مثلا: لماذا أنا موجود ؟ لماذا أنت بائس ؟... هكذا كانوا يؤمنون بالعقيدة غير أنّهم تطّرقوا في تفكيرهم عندما بنوها على أساس عاطفي. [4]

3- الطّبيعة في الأدب الرّومانسي:

للطّبيعة في الأدب الرّومانسي مكانة فريدة فالرّومانسي تروقه الوحدة بين أحضان هذه الطّبيعة ليخلوا إلى ذاته، وفي هذا يقول "روسو" .. "كنت أحبّ أن أغيب عن نفسي في فصيح خيالي في الفضاء... "[5] فاعتزال الناس وحبّ الخلوة هو مبدأهم الأوّل يقول "بايرون": " أيّتها العناصر الكونيّة يا من في صوتها القدسي وبين أحضانها أشعر بنشوة الهيام... في الغابة العذراء متعة، وفي الضفاف المنعزلة جذبة سحر فهنا أنسى حيث لا دخيل من النّاس بجانب

([1]) - انطونيوس بطرس ، الأدب تعريفه مذاهبه وأنواعه، ص 114.

([2]) - محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص 123.

([3]) - المرجع نفسه، ص 124، 143(بتصرف).

([4]) - محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص 149، 167 (بتصرف)

([5]) - أنظر: المرجع نفسه، ص 170.

الفصل الأول
الرومانسيّة

البحر العميقة وموسيقى أمواجها، أليس حيي للإنسان قليلا، ولكن حيي للطّبيعة أكثر."[1] إنّ هروب الرومانسيين للطّبيعة ما هو إلاّ نتيجة لرهافة حسهم وشبوب عاطفتهم ونجدهم قد فظلوا فصل للخريف لاتفاقه مع نفسيتهم الحزينة وتغنّوا به لأنّه فصل الضباب والجليد الذي تتجرد فيه الغصون من أوراقها التي تعصف بها الرياح فتحملها ... هذه المناظر توحي بالذبول والفناء، كما أنّهم أحبوا اللّيل لأنّه مليء بالأسرار، مثير للأحلام، يولعون به خاصة قبل غروب القمر وبعده، وتثور خواطرهم في هدأة الكون، حين تظهر الظلمات لأنّ الحقائق الكبرى بالنسبة لهم تتجلّى في ظلمات الأحلام

وهم يفصلون كذلك مناظر العواصف وأمواج البحار والأديرة الصامتّة والقصور العميقة المهجورة ويبكون على الأطلال والآثار لإثارتها ذكرى الأحياء أو القدامى، فحبّهم لهذه الطّبيعة يجعلهم يستجيبون لمنظارها الحزينة التي تتلاقى، وخواطرهم فيتخيّلون فيها أرواحا تحسّ مثلهم تحبّ وتكره وتحلم لذالك يخاطبون الأشجار والنّجوم والورد والصّخور وأمواج البحر.[2]

"فالطّبيعة ترجع الرومانسي إلى عهد البراءة والخير والخصب، دون حيلة وارتزاق والغربة التي كان يحسها في المدينة يظهر له جنّها في الريف ذاته" [3]

4- الحبّ الرّومانسي:

لقد لعب دورا كبيرا في الآداب المختلفة على مر العصور، فكان حديث الشّعراء وموضوع كثير من القصص والمسرحيات، لكنه لم يبلغ ما بلغ في عهد الرومانسيين، فكان في بعض الإنتاج الأدبي طريقا للفضيلة ثم جاء "روسو" الذي كان أب الرومانسيين في وصف الحبّ، حيث قدّم العاطفة على العقل، لان بها يتجلّى صوت الضّمير ووحي الطّبيعة، فالرّومانسي لا ينشد سعادته إلاّ في ضلال الحبّ ومن يمثل ذلك "بايرن" و "الفرددي فيبني" بحيث تكون السّعادة هي العاطفة الصّادقة في الحبّ الذي يعتبرونه على رأس الفضائل وكذلك هو وسيلة لتطهير وتصفية النّفوس، وأقرب مثال لذلك مسرحية "ماريون ديلوم" "لفيكتور هيجو" وبهذا احتلت المرأة مكانة لم تضفر بمثلها من قبل، فهذا السّمو بالعواطف والصّدق أدى إلى نوع من تقديس المرأة والإشادة بها.

وللحبّ معنى أخر كذلك الحبّ الموجود بين إنسان وأخر وهناك من يرى الحبّ أبعد من ذلك، وهو في معناه الأصلي الجذب، فكل المخلوقات تنجذب بعضها إلى البعض بهذه القوة وفي الأخير تكون جميع الأكوان مجذوبة إلى الله بهذه القوة كذلك، فالحبّ هو أساس هذا العالم إن لم يكن سبب وجود المخلوقات.[4]

ب- القضايا الفنيّة:

إنّ الأجناس الأدبيّة هي من أهم النّواحي التي جدّد فيها الرومانسيون شعرا كانت أم قصصا أو مسرحيات بل وحتّى في النّقد الأدبي.

1- الشّعر الرّومانسي:

([1]) - المرجع نفسه، ص 170 .171 (بتصرف).

([2]) - المرجع نفسه، ص 170، 178. (بتصرف).

([3]) - أنظر: ايليا الحاوي، الرومانسية في الشعر العربي والغربي، ص88.

([4]) - محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص 183، 191، (بتصرف).

الفصل الأول
الرومانسيّة

لقد " اتسّع ميدان الشّعر وغزر الإنتاج فيه، فكان القرن التاسع عشر غنيا بشعرائه حيث تجدّد الشّعر في موضوعاته وفي معانيه وفي قوالبه الفنيّة، وأوسع مجالاته مجال الحبّ الذي كان طابعه العام: الحزن والشكوى من عدم وفاء الحبيب " [1]

ولقد مسّ تجديد الرّومانسيين في الشّعر أوزانه وأغراضه بحيث نجد الوزن المسمى "صونيت" وهو الأكثر حضا عندهم، كما مس تجديدهم أيضا الشّعر الفلسفي الدّيني الذي قام مقام الأشعار التعليمية واتجه نحو الذاتية والعاطفية بعد أن كان موضوعيا عقليا ومثال ذلك "الفريددي فيني" الذي يعتبر أعظم الرومانسيين في هذا المجال.

أما التحديد في الموضوعات فكان يدور حول شؤون الحياة اليوميّة وحوادثها الجارية أوّل من تناولها "ووردزوورث" الذي وظف في شعره الطّبقات الصغيرة فوصف الفلاحين وحياتهم، ومواطن الجمال فيها وتبعه الرومانسيون جميعا وأبرعهم في فرنسا "فكتور هيجو" ويندرج في هذا النّوع، وصف الخدم والريفيين ووصف الطفولة، وكان يصحب في هذا كله تغنيهم بالطّبيعة.

كما جددوا في الملحمة، فأصبحت أقصر مما كانت عليه، وخالية من العناصر الإستطرادية تظهر دائما عاطفة الشّاعر وخياله الحر، خلافا للملحمة الكلاسيكيّة، وقد استمد الرّومانسيون معظم موضوعاتهم من تاريخهم الوطني وأساطير أجدادهم، ومن السابقين في نظم الملاحم الوطنية الشعبية "ولتر سكوت".

إن غاية الشّعر الرّومانسي ليست الحقيقة الفكريّة، فالجمال في حقيقته النسبية هو المرآة الحقيقية، لأنّه نسبي في ذاته، فانحصر فيما يهم الإنسان ويروقه ولا يروقه إلاّ ما هو نافع له، فوصفه لمنظر ما لا يثير الإعجاب في ذاته، إلا إذا قصد من وراء وصفه هذا غاية إنسانية نافعة، وبذلك يصبح القصد جميلا ولو كان المنظر في ذاته قبيحا والجمال عندهم ليس بالنسبة للفرد، بل بالنسبة للمجتمع، فأبعد الشّاعر الرّومانسي إنسانيته، لأنّه حيث يصف عواطفه الإنسانية يتجاوب فيها مع الآخرين وهكذا كان التجديد عند الرومانسيين عاما شاملا في ميدان الشّعر حيث حطموا قوالبه القديمة وجددوا أغراضه. [2]

2- القصّة الرومانسيّة:

ميدان القصّة أقل الميادين تجديدا في الأدب الرّومانسي، خاصة من الناحيّة الفنيّة...، فالقصة في جوهرها موضوعيّة ولكن الرومانسيين استخدموا فيها ذاتيتهم عندما وصفوا ذات أنفسهم في أبطالهم، وهذه الذاتية لم يسلم منها في العهد الرومانسي إلا القليل من الكتاب ممن اتجهوا نحوى الواقعية، أمثال "بلزاك" (1799، 1850)، "ستاندال"، فولتير وحتى هؤلاء لم يتخلصوا منها تخلصا تاما ومقولة فولتير "مدام بوفاري هي أنا" خير دليل على ذلك.[3]

إنّ القصّة لم يكن لها حضها كالمسرحيّة حينا سيكولوجية عاطفية مثل مسرحية "رينيه renier " "لشاتوبريان" ورويات "مدام دي ستايل" وحينا أخر اجتماعية مثل قصص "ستاندال" وتاريخية كأقاصيص "الكسندر ديماس" دون أن تفوتنا الإشارة إلى أنّ "ولتر سكوت " يعتبر من رواد القصص التاريخية[4]

3- المسرحيّة الرومانسيّة:

([1])- المرجع نفسه، ص 197.

([2]) - محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص 200، 206 (بتصرف).

([3]) - المرجع السابق، ص 208 (بتصرف).

([4]) - ايليا الحاوي، الرومانسية في الأدب العربي والغربي، ص 108 (بتصرف).

الفصل الأول
الرومانسيّة

لقد ثار الرومانسيّون على قواعد المأساة الكلاسيكيّة فانهارت المسرحية الكلاسيكيّة نسبيا في انجلترا وألمانيا واسبانيا، كما دعا إليها "بولو polo " الفرنسي ومن تبعه، حتى ضاق النّاس بالموضوعات اليونانيّة والرومانيّة وبقواعدها الفنية كما ضاقوا بالالتزام بنوع واحد من الشّعر، إلتزام الأسلوب التقليدي الذي لا يسمح باستعمال الكلمات المتبادلة المألوفة، وفي القرن الثّامن عشر بدأت تظهر بوادر الثورة على المسرحية الكلاسيكيّة وقد انحصرت في اتجاهين:

1- المناداة بالدّراما البرجوازيّة التي تستقي مواضيعها من الحاضر وظهرت على يد " ديدرو" الفرنسي وكثير من الألمان.

2- تمثل الاتجاه الثاني فيما يسمى "بالميلودراما" وهي مسرحية شعبيّة تمزج فيها المأساة بالملهاة وبهذا كانت الدراما الرومانسيّة جادة هازلة، آسية، مرحة معا، تأثر "بشكسبير" بالنظر إلى أنّ الحياة تضم كلا من الوضيع والرّفيع هذه المضادات الثنائية ضاعت الحقيقة، القبيح والحسن، والجدّ والهزل فإذا فصل بين هذه المضادات الثنائية ضاعت الحقيقة، لان الطبيعة نفسها تخلط النور بالظّلام. ونجد الدراما الرومانسية أكثر ذاتية، عكس الملهاة التي تكون موضوعيّة في خصائصها لأنها أقرب في طبيعتها إلى الواقعية، لهذا لم تجد حضها الوافر في الأدب الرّومانسي، والملهاة في العصر الرّومانسي نوعان، تاريخيّة وخياليّة شعريّة، لقد عالج الرّومانسيون الموضوعات التاريخية الحديثة أو من تاريخ الوطن تركت فيها وحدة الزمان والمكان الكلاسيكي، فيصفون الأماكن وطبيعة البلد الذي تجري فيه الحوادث، ويصورون العادات والأخلاق وخصائص عصرهم.

وبهذا نجد أنّ مسرحيات الرومانسيين كانت تعبيرا عن أرائهم وقضاياهم الاجتماعية والثوريّة والأخلاقية، بالإضافة إلى استخدام ذاتيتهم وانفصالهم الفردي الذي جعل المسرح الرّومانسي يفشل، ولأنّه أدبي غيري، تبطل فيه الذاتية والخيال والآراء الخالصة، والرؤى الفرديّة، فقد ناقضت الرومانسيّة فلسفته العمليّة.[1]

وهكذا نجد أنّ الرومانسيين قد عالجوا كل ما يتعلّق بالقضايا الإنسانية ذات الصّلة بذات الفرد والمجتمع وركّزوا خاصة على الموضوعات الوجدانية القائمة على الانفعال والبعيدة على الجفاف العاطفي فالرومانسيّة دعوة إلى الإبداع والتجديد.

([1]) - محمد غنيمي هلال، الرومانتيكية، ص116، 218، (بتصرف)

الفصل الثاني: ألكسندر بوشكين

I- الأوضاع الاجتماعية والسياسية في روسيا.

II- الرّومانسية في الأدب الروسي

III- ألكسندر بوشكين:

1- مولده ومراحل حياته

2- أصله

3- وفاته

4- آدابه

الفصل الثاني
الكسندر بوشكين

I- الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة في روسيا:

كان المصير الرّهيب والكئيب مهيئا لكلّ روسي يرفع رأسه في وجه الإمبراطورية مواطنا كان أم شاعرا أو مفكّرا، كما انحلّ نصم سانة منذ منتصف القرن التّاسع عشر، حيث تمت في صلبه العلاقات الرأسماليّة الجديدة، وسيطرت طبقة النّبلاء التي كانت تملك أهم ثروة في البلاد (الأرض)، ونتيجة لذلك ظهر صنفان من الفلاحين:

الصنف الأوّل مملوكين للملاك العقاريين، أما الصّنف الثاني فقد كانوا في التبعيّة الإقطاعية للدّولة.

كما "لعبت القيصرية دورا هامّا في البقاء والدّفاع عن مصالح وامتيازات النّبالة والحفاظ على أسس نظام القنانة في الوقت كان قد توطد فيه أسلوب الإنتاج الرأسمالي والعلاقات الاجتماعيّة البرجوازية في بلدان أوروبا الغربية "[1]

"على هذا الأساس طرأت على الفترة الانتقالية اضطرابات كشفت فيها نيّة البقاء عند النبالة والقيصرية، التي لاحقت كل بادرة تمرّد بالقمع الشديد، ونظرا لذلك انتشرت في أنحاء روسيا بعض الانتفاضات الشّعبية، ومن أخطرها الحرب الفلاحية عام 1773 م بقيادة "بوجا تشوف" التي هزت كيان القيصرية ونظام القنانة، إلاّ أنّها انتهت بالهزيمة، ممّا أدى إلى تضخيم اتجاهها الرجعي وإجراءات الإرهاب والقوانين التي تحصر جميع الحقوق والامتيازات للنبالة...

وبعدها بدا نشاط المنورين الذين دافعوا عن المصالح الشّعبية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر لمواجهة نظام القنانة، حيث فضح "نوفيكوف " قسوة نظام القنانة وأكدّ أنّ كل ثروات الأرض هي نتاج الفلاحين أما "راديشيف" فكان أوّل من دعا في التّاريخ إلى القضاء على عبودية الأقنان وإقامة الجمهورية في روسيا، ولعب كتابه "رحلة من بترسبورغ إلى موسكو" وقصيدته "الحريّة" وغيرهما من مؤلفاته دورا هاما في تكوين الأيديولوجية المعادية للقنانة وتطوير الأفكار الاجتماعية في روسيا."[2]

كما ايقضت حرب 1812 الوعي القومي فدافعت عن الأرض وواجهت الغزو النابليوني، وفي 14 ديسمبر 1825م أنشئت تنظيمات سرية من طرف أول الثوريين الروس، وهم الديسمبريون الذين نظموا انتفاضة ثورية ضد القيصرية، كما لعبت أفكارهم التنوير الرّوسية واطلاعهم على أعمال منوّري القرن الثامن عشر الفرنسيين وآداب أوروبا الغربية الثوريّة دورا كبيرا في نظريتهم، وبعد اعتلاء "نيقولا الأول" عرش سانت بترسبورغ، أعدّ الديسمبريون بيانا على الشّعب يتضمن برنامج إصلاح النظام الاجتماعي، كإلغاء الحكم السّابق، حريّة النشر، تساوي كافة الفئات أمام القانون... غير أنّ مصير هذه الانتفاضة كان السحق كمثيلاتها التي وقعت في أوكرانيا بعد ذلك بأسبوعين، وكان الحكم على الديسمبريون قاسيا، فحكم على خمسة منهم بالإعدام، وعلى أكثر من مئة بالأشغال الشّاقة والنفي إلى سيبيريا، وبحكم مصالح الغالبية العظمى من النّبلاء التي كانت تقف في صف "نيقولا الأوّل"، فشلت الانتفاضة وعجز الديسمبرريون عن تحقيق برنامجهم.[3]

([1]) - رفعت سلام، بوشكين "الغجر وقصائد أخرى، دار ابن خلدون، ط1، 1982، ص 18.

([2]) - أنظر: المرجع السابق، ص 19، 20.

([3]) -رفعت سلام، بوشكين، "الغجر وقصائد أخرى، ص 20، 21 (بتصرف).

الفصل الثانى
الكسندر بوشكين

II- الرومانسيّة في الأدب الرّوسي:

عرفت روسيا حركة أدبيّة في بداية القرن التّاسع عشر، فاهتم الروسيون بالشّعر، بحيث اقتحم كل الأماكن ابتداء من الجامعات إلى الثانويات ومن الصالونات إلى المدارس العسكرية، وأنشئت الأبنيّة الأدبية والمجلات بدلا من المناقشات السياسيّة.

وللمجالات المختلفة الإتجّاهات دور هام في فتح صفحاتها للأدب الرّوسي الناشئ وتخفيض بعض صفحاتها لبعض الآداب الأوروبية المترجمة وهذا ما سمح للمبدعين الاطلاع على جديد الأخر من فنون "وكان أولى بالأدب الرّوسي المتفتح أن يتأثّر بأكبر ظاهرة أدبيّة قامت في ذلك الوقت، ودعمت آداب أوروبا بلا استثناء، إلا استثناء ألا وهي الرومانسيّة، لكن الرّومانسية وإن كانت على اتصّال بأفكار نظائرها الفرنسية خاصة الألمانية والانجليزية عامة، لم تنشأ نشأة متميّزة لافتقارها إلى جمالية واضحة، وإلى روّاد حقيقيين قادرين على بلورتها والنهوض بها"[1]

وما يربط الرومانسيّة الروسيّة بالرومانسيّة الأوروبيّة هو العاطفة والحماسة والذوق الأصيل فهي عبارة عن نزعة سطحيّة، وقد سار عليها أوّل رومانسي هو "قاسيلي جوكوفسكي" الذي جدّد الأسلوب الشّعري الروسي لغة وعروضا وحتى أغراضا، حتى غدا الشّعر بالدّرجة الأولى تعبيرا على العاطفة والذّات، ورغم قلّة أعماله (بضع رسائل هزلية وقصائد عاطفية) إلاّ أنّها كانت بمثابة القدوة لمعاصريه من الشّعراء المنبهرين بمحاسن ألفاظها وعذوبة موسيقاها وجودة أسلوبها، وقد نبغ هذا الشّاعر في ترجمة إبداعات الرومانسيين الألمان والانجليز، ويمكن اعتبار الشّاعر "الكسندر بوشكين" حامل مشعل الرومانسيّة والشّعر الرّوسي، فقد فاق بذلك "جوكوفسكي" ومقارنته بـ "لامارتين" ما هو إلاّ دليل على الشاعريّة التي يتمتّع بها بوشكين، والتي جعلته أكبر شعراء عصره مكانة ويأتي بعد بوشكين تلميذه "ميخائيل ليرمونتوف 1841) المتأثّر بـ "بايرون" والذي قفز بشعره قفزة كبرى نحو الغنائية الحقّة من خلال قصائده "الشيطان الهارب..."، ونجد قد اتّبع سنة بوشكين في إستلهام مادة الإبداع من الطّبيعة الروسيّة، وتقاليد سكانها، وتشهد على ذلك أشعاره وقصته "بطل من زماننا". هذا فيما يخصّ الشّعر، أمّا فيما يخص الروايّة فقد عرفت ازدهارا حقيقيا في القرن التّاسع عشر، وتعتبر محاولات "بوشكين"
و "ليرمونتوف" القصصية كبداية لهذا الازدهار الذي تطوّر على يد "غوغول" والذي رأى في الروايّة أنجع طريقة لإبراز أصالة الأدب الرّوسي، وتحرّره من التبعيّة. [2] أمّا المسرح فلم تتسنّى له المكانة التي حضي بها الجنس القصصي، ونجد "بوشكين" قد مهدّ للمأساة التّاريخية من خلال مسرحيته "بوريس جودونوف" عام 1825م التي اتّبع فيها طريقة شكسبير دون احترام القواعد الكلاسيكيّة.

ومن هنا نجد أنّ الآداب الأوربية ودلك بفضل تفجير المواهب في كل الأجناس وظهور العشرات من الأدباء الذين أعطوا للعلم أروع المؤلفات، ومع حلول القرن العشرين، دخلت التّاريخ المعاصر بثورة أكتوبر التي قضت على معالم الاستبداد والإقطاع والجهل والتّخلف من خلال قضائها على النظام القيصري البائد، فتحوّل على أثرها المجتمع الرّوسي وسايره بكلّ أغراضه واتجاهاته.[3]

III- الكسندر بوشكين:

1- مولده ومراحل حياته:

([1]) - زبير دراقي، "محاضرات في الأدب الأجنبي"، ديوان المطبوعات الجماعية بن عكنون، دط، 1991م، ص 168، 170.

([2]) - زبير دراقي، محاضرات في الأدب الأجنبي، ص 170.

([3]) - المرجع نفسه، ص 171، 172. (بتصرف)

الفصل الثانى

الكسندر بوشكين

ولد الكسندر سيرجيفتش بوشكين يوم 07 يونيو 1799 في أسرة من النّبلاء من جهة الأدب فيها من اشتهر بميله إلى المغامرات، أمّا أمه فيذكر أنّها تنحدر من سلالة أمير حبشي يلقب "عبد بطرس الأكبر" وهو جنرال في جيش القيصر آنذاك ترعرع بين يدي مربيته والتي كانت مربية أمه أيضا، وهي عجوز واسعة الخبرة، قويّة الذّكاء وقد كانت تروي له قصصا وأناشيد وأغاني فأصبحت الحلقة الوحيدة عدم الخدم ـ "بين بوشكين" والثقافة الروسية، لأنّ أسرته وبحكم الأسر الأرستقراطيّة الروسيّة ـ لا تتحدّث في المنزل إلا باللّغة الفرنسيّة.

وفي سنة 1810 دخل إلى مدرسة القيصر الثانويّة التي افتتحت في السنة نفسها لأبناء النّبلاء وفي هذه المرحلة بدأت على الطفل إمارات تدّل على الفهم والذكاء ومنذ سنة 1814 نشرت له قصائده الأولى في مجلة " رسول أوروبا" في سنة 1815 قرأ "بوشكين" قصيدة تمثيلية أمام جمهور كان يظّم أعلام الأدباء الرّوسي وفي مقدمتهم الشّاعر الكبير في عصره "ديرجفين" الذي أعجب بالقصيدة إلى حدّ دفعه أن يتنبأ بمستقبل عظيم للفتى في الشّعر الرّوسي" [1]

وفي سنة 1817 وعندما أنهى دراسته عينّ موظّفا بوزارة الخارجيّة غير أنّه كان يقضي معظم أوقاته في الملتقيات الأدبيّة والمحافل الأميرية منصرفا إلى إرضاء نزواته وميوله كتب في هذه الفترة قصائد عرض فيها القيصر ورجال الدّولة ونظام حكمه فأبعد إلى جنوب روسيا وقضى في المنفى أربع سنوات وضع خلالها قصصا شعريّة وأشعار غنائيّة وسمح له بعد ذلك بالعودة، نظم الشّاعر قصيدته المشهورة "روسلان ولودميلا" وهي قصّة يسودها الطّابع الرّومانسي ويقدّم لنا الشّاعر فيها عاشقين يسعى للتفريق بينهما حاسد خبيث وأسماء وشخوص القصّة كلّها مأخوذة من الأسّاطير الروسيّة القديمة والقصيدة تمثل حصيلة معلومات الشّاعر التي جمعها من قراءاته في الأدب الرّوسي والأدب الفرنسي ونلمس فيها بصفة خاصّة تأثير فولتير ومن خلال قصة "فولمست" تجسد حماسة لقضية الحريّة وهذا ما دعا إلى سجنه من طرف السّلطات التي كانت تريد نفيه على سيبريا معتقل الكثير من المفكرين الأحرار، وأعداء النظام القيصري غير أنّ تدخل بعض الشخصيات السياسيّة لصالح "بوشكين" جعلت القيصر "الكسندر الأوّل" يشفق عليه ويكتفي بمنفاه الذي سمح له لنظم قصيدته المشهورة "سجن القوقاز" لتظهر سنة 1822 فيلمع اسم هذا الشّاعر في جميع أنحاء روسيا.

تابع بوشكين باهتمام شديد الأحداث الأوروبيّة التي كانت تنافس بحماس بين أصدقائه الديسمبريين: الحركات الثوريّة في ألمانيا وفرنسا واسبانيا بل روسيا 1820.[2]

إنتقل "بوشكين" باهتمام شديد، الأحداث الأوروبيّة التي كانت تنافس بحماس بين أصدقائه الديسمبريين بعد ذلك إنتقل إلى " ادويسا وعمل تحت إمرة الكونت "فورنتروف" الحاكم العسكري الجديد، وكرد على اضطهاده نظم أبياتا شعريّة سخر يها منه إضافة إلى ذلك قد ضبطت السّلطات خطابا ينكر فيه وجود الله وخلود الرّوح وكان ردّ فعل " فورنتروف" أنّ أمر بنقله من أدويسيا وبعد ذلك أمر "ألكسندر الأوّل" بطرده من الخدمة الحكومية، ونفيه إلى " ميخايلوفسكي" ليجد رقابة السّلطات وبمنفاه الجديد هذا كتب "نافورة" بختشيساري" وبدا "يوجين" وأنهى "جافريليدا" كما أنجز معظم "الغجر" بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من القصائد الغنائيّة وتتبع حياة العامّة والسّماع إلى القصص الشّعبية وتحاور مع الفلاحين، ولما أنهى الغجر والكونت نيكين و "بورليس" " جودونوف" وأضاف أربعة فصول إلى يوجين أو نيجين سرعان ما إصابته الصدمة

([1]) - إسماعيل العربي، " نماذج من روائع الأدب العالمي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1986، ص 82.

([2]) - أبو العيد دودو، الكسندر بوشكين، من المسرح العالمي، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976، ص 05، 06 (بتصرف)

الفصل الثانى

الكسندر بوشكين

الكبيرة حين وصل خبر له مفاده أنّ انتفاضة الديسمبريين قد سحق وأنّ معظم أصدقائه قد نكّل بهم "نيقولا الأول" ومن ثمّة أصبح واضحا لدى الحكومة أن شعر "بوشكين" قد لعب دورا تحريضيا كبيرا في الحركة الديسمبرية لكنّها لم تجد بين أوراقهم سوى قصائده فقط ولم يجد البوليس السّري أي دليل على مؤامرة أو تمرّد أعده بوشكين وقرر "نيقولا الأوّل" ألا يحاكمه وفي سنة 1826 أحضر "بوشكين" إلى موسكو أين تعهدّ أمام القيصر أن لا يسلك أي سلوك موليا نحو الحكومة إلاّ أنّ القيصر لم يثق به بل أمر أن يتابع أعماله بنفسه ممّا جعل "بوشكين أن ينشر قصائده تحت أسماء مستعارة أو دون توقيع منه[1] ليوضع بعد ذلك تحت الرقابة البوليس السّري الذي لم يسمح له بالانتقال من مكان لأخر دون تصريح كما وقع على تعهد بعدم قراءة أعماله أي كان قبل تسمح له الرقابة بذلك. ووصلت به هذه القيود إلى حدّ حياته الشخصيّة فهو لا يستطيع الزواج بدون موافقة القيصر والشّرطة وهذا ما حدث له عند تقدمه "لنتالي جولشارون" سنة 1830، ولحسن حضه وافق القيصر على زواجه ولكنها موافقة مقرونة بجزء من التوبيخه والتحذير وفي الفترة نفسها اشرف بوشكين على الجريدة الأدبيةّ التي يصدرها زميله الشاعر "ديلفيج" [2]

استقرّ الشّاعر مع زوجته "نتالي الفاتنة " في "سانت بطرسبورغ" ودخل في سلك موظفي الحكومة مرة أخرى بفضل "نقولا الأوّل" الذي كان هدف أخر من ذلك. ألا وهو تردّد نتالي على البلاط القيصري بعد سنوات قليلة ألف "بوشكين" كتابا أسماه "تاريخ بوخاتشوف" ويذكر فيه تمرّد هذا الأخير كما كتب رواية "دبروفسكي" "والفارس البرونري" وملكة لبستوني، لكن القيصر لم يدع بوشكين بسلام ففي 1834 منحه رتبة نبيل في الحضيرة القيصرية والسّماح بتردّد زوجته إلى بلاط القيصر مستهدفا بذلك إذلاله وازداد اضطهاد الحكومة الذي لا يحتمل وفقد حريّة تبادل الخطابات مع زوجته

"لم أكتب إليك، لأنّ تصّرف سلطات البريد الذي لا يخرج عن كونه تصرف خنازير نفّرني من الكتابة لدرجة جعلتني لا أستطيع أن أمسك بالقلم في يدي"[3]

وبذلك بقي مقيّدا في "سانت بطرسبورج" راضخا لاضطهاد الحكومة حتى تدهورت أحواله الماديّة لتصل ديونه إلى ستين ألف روبل وهو المسؤول عن أربعة أطفال وشقيقته وشقيقتي زوجته ومتطّلبات رتبته في البلاط وهذا ما حال دون مواصلة الكتابة، ورغم ذلك فقد أصدر "مجلة المعاصر" 1835 لينشر فيها مذكراته وأعماله وإنتشرت الشّائعات حول العلاقة المشبوهة بين زوجة "بوشكين و "القيصر حتى وصل خطاب للشّاعر حول هذه الشّائعات بدون توقيع فيضطر "بوشكين" للدفاع عن شرفه وهذا باتصاله مع "دانتس" الذي كان يلاحق زوجته هو الأخر لدعوته إلى المبارزة غير أنّ هذا الأخير يحاول التّقرب منه بطلب أخت "نتاليا" للزواج، وفيها تزداد سمعة "بوشكين" تلطيخا في المجتّمع الراقي، يرسل هذا الأخير خطابا مهينا إلى "هيكر" الذي تبنى "دانتس" ليقبل أخيرا "دانتس " التّحدي.[4]

2- أصلـــه:

لقد إختلف النّقاد والدّارسون حول مسألة أصل "بوشكين" إن كان ذا جذور عربيّة أم روسيّة، وقد "أعلنت الأكاديمية السوفياتية منذ حين أنّ "بوشكين" أعظم الشّعراء الروّس، كان مصريّا في الأصل.

([1]) - رفعت سلام، بوشكين، الغجر وقصائد أخرى، ص 30.

([2]) - المرجع السابق ص 30. 31.

([3]) - المرجع نفسه، ص 32.

([4]) - رفعت سلاّم، بوشكين "الغجر وقصائد أخرى، ص 10 (بتصرف).

الفصل الثانى

الكسندر بوشكين

إنّ الذين أرادوا له من قبل قالوا أن جدّه لأمه جاء من الشّرق من الحبشة، وكان من رقيق القيصر... ولكنّ المستشرقين المحدثين في جامعة موسكو يؤكدون اليوم أن جدّه كان مصريّا لا حبشيّا ومهما يكن من أمر، فإنّ الشّاعر الذي تهديه روسيّا السوفياتية إلى مصر قد تغنّى بمصر في بعض شعره الرّائع الملحمي في أكبر ملحمة أسماه "ليلة مصريّة" [1] وحتى نلمس جذوره الحقيقية فلا بدّ أنّ ندرس شعره وأخلاقه لنرى من خلالها إن كانت فيه بذور من الشرق أم لا "ولا شكّ في خلق بوشكين ما ينميه إلى الشّرق فقد كانت قصّة حياته شبيهة بما إشتهر عن الشّاعر العربي القديم "امرئ القيس" من أساطير الإسراف في كل شيء في الحبّ واللذّة وبذل نفس المال في سبيل كل شيء ... وكان الدّم الشّرقي الذي يجري في عروقه يلهب عواطفه فيدفعه إلى إجتراع كلّ كأس تقع في يده والإقبال على كل إمرأة يصادفها في طريقه. [2]

3- وفاتـــه:

لقد عانى بوشكين في حياته الكثير من الإضطهاد والذّل والإهانة والعقاب من طرف الحكومة، لتكون خاتمة حياته ممزوجة بالعذاب والألم من جهة والرّجولة والكرامة من جهة أخرى، ففي "يوم 27 يناير بزغ الفجر على مدينة غارقة في الثلج والطّين، كان الطّقس باردا، ولم يستيقظ بوشكين قبل الثّامنة، فهبّ من فراشه، واغتسل على عجل وتناول قدحا من الشاي كانت نتالي – زوجته – والأولاد مازالوا غارقين في النّوم بعد، وكان هو الوحيد الذي يعرف أنّ الشّمس قد لا تغيب ذلك اليوم إلاّ ويكون قد فارق الحياة" [3]

إنّه اليوم الموعود الذي سيقابل فيه غريمه دانتس وجاء موعد المبارزة وحدّد المكان وعند وصولهما شرعا يحشوان المسدسين ولما انتهيا، وضع الخصمان حاجزين متباعدين على بعد خمس خطوات من الحاجزين، تناولا المسدسين وبإشارة البدء تقدم بوشكين بسرعة من الحاجز وبدأ في التسديد ولكن دانتس لم ينتظر أن يصل هو الأخر إلى الحاجز فأطلق النّار ويصاب بوشكين بجروح بليغة وبعد يومين من هذا اللّقاء المشئوم لفظ أنفاسه "وكانت السّاعة قد بلغت الثانية والخامسة والأربعين من بعد ظهر 29 يناير 1837 دفن جثمانه سرّا بحراسة أحد جنود الشرطة بمدافن ديرسيفا توجورسكوي بالقرب من "ميخايلو فسكوي" [4]

4- أدبـــه:

إنّ من إطلع على حياة "بوشكين" وعرف ما كان فيها من لهو ولعب وما كان عليه من ذل واضطهاد لا يجعله يعتقد أنّه ألف ونظم عددا هائلا، يعدّ بحق نصيبا لا يستهان به في الأدب الروسي. "كثيرا ما تردّد النّصوص الروسيّة القول بأنّ كل تيارات القرن الثّامن عشر تؤدي إلى "بوشكين" وأنّ كل أنهار القرن التّاسع عشر تنبع منه، ويبين هذا ما لمؤلفاته من تأثير هائل وهو ظاهرة ثقافيّة وشاعر لا مثيل لهما في الأدب الرّوسي، وربما في الأدب العالمي، فقد بدا بأوسع ألوان الأدب مجالا وأنماها، وإذا كتب قصائد شعرية غنائية ومسرحيات وروايات شعريّة وقصصا تاريخيّة، ومقالات نقديّة وقصصا قصيرة، وكتب أبحاثا وقصص جنيات ولمحات سياسيّة وأغاني حبّ... وليس هناك ميدان من ميادين الكتابة لم يترك فيه نماذج فذّة "[5]

([1])- المرجع السابق، ص 32.

([2]) - المرجع نفسه، ص 10 (بتصرف).

([3]) - رفعت سلام، بوشكين الغجر وقصائد أخرى"، ص 09.

([4]) - المرجع السابق، ص 11 (بتصرف).

([5]) - مارك سلونيم، "مجمل تاريخ الأدب الروسي،" ترجمة: صفوت عزيز جرجس، علي أدهم، دار التضامن للطباعة والنشر، 1967، ص 29.

الفصل الثانى

الكسندر بوشكين

كان أدب "بوشكين" في بادئ أمره يتّسم بالإصلاح الرّوسي ولكنّه أدرك فيما بعد أنّه إنمّا يبذل جهدا في حلقة مفرغة فهو الذي قال عن نفسه حيث أراد الكتابة في الأدب وتخصيصها لذلك وحده " فلقد أراد لي الشيطان أن أولد في هذه البلاد بما وهبني الله من نبوغ ومن قلب" [1]

ومن بين دراسات "بوشكين" لبعض الأدباء تلك التي تدور حول "جيته" "وشكسبير" كرمزين وفي عزلته بمنفاه في الإقليم الجنوبي الروسي، كان " يعوض لنفسه نقص دراسته، وفي هذا الوقت نفسه أخذت مربيته العجوز في دار أبيه تقصّ عليه شيئا من الأساطير الشّعبية، ومضى "بوشكين" في إنتاجه الأدبي متّأثرا بهذا كلّه، فكتب "بوريس جودنوف" الذي صوره في شخصية رجل جمع ثلاثا من شخصيات شكسبير هم "رتشرد الثالث" "ماكبن" "وهنري الرابع" وكذلك كتب رواية عن رجل من الأشراف اسماها "الكونت نولين".[2]

يعود الفضل "لبوشكين" في تغيير اللّغة الأدبيّة الروسيّة وتطعيم أسلوبها بالشّعر القديم " كان الشّعر الروسي قبل "بوشكين وإلى درجة كبيرة غرسا لنباتات منقولة من أرض أجنبية على حدّ تعبير "بيلينسكي" فخلق "بوشكين" جميع متطّلبات للتعبير الشّعر عن أفكار الشّعب وأرائه وأحاسيسه في نفس الوقت الذي خلق فيه متطّلبات التّطور المقبل للثقافة الروسيّة" [3]

إنّ الجمال عند "بوشكين" يكمن في الحياة وفي الطبيعة، هذه الحياة التي يرى أنها المصدر الحقيقي للأدب، بحيث تكمن الأهمية الكبرى في تاريخ الأدب الروسي.

وأدب "بوشكين" لا يصوّر الحياة المزينة بالأوهام والأحلام فإمكانية الأدب لا تكون إلاّ باعتبار أدب الواقع الذي يعكس الحقيقة كما هي بدون تغطية عيوبها ونقائصها ويقترن هذا التأكيد للحياة المنافية للتصّورات المجردة والرومانتكية المتخاذلة، بتفاؤل يليق بهذا الفارس الأسطوري الذي شقّ رحم القنانة صوب الحريّة، فوجّه بشعره فكر الشّعب إلى حقيقته، وصرفه عن كلّ ما هو غامض وشجي وحلمي بشكل مرضي، وصرفه كذلك عن كل ما رأى فيه الشّعراء من قبله، مثال الكمال والجمال.[4]

كان مقدرا "لبوشكين" أن يكون أوّل من يفجّر الينابيع فلم تعد اللّغة الفخمة سوى دليل على التّعالي والعجرفة الممقوتة وحلّت مكانها لغة أقرب إلى لغة الشّعب بسيطة تختزن ألاف الصور، عذبة تنفجر بالموسيقى والسّخونة وأحيانا قاطعة كالخنجر أو كالطلقة" [5]

يرى بعض النّقاد أنّ "بوشكين" وصل أوجّ الإبداع في موضوعات قصائده "السونتات" التي تظّم أشعاره الغنائية وتأملاته في الطّبيعة والموت وكذلك اعترافات الحبّ وذكريات الماضي ومعظم هذه القصائد مكتوبة في البحر الأيّامي الشعري وهي كاملة التّوازن في النغم والصورة الخيالية غير أنّها عنيفة رغم بساطتها كما أنّها شديدة الانفعال ومؤثرة ومع ذلك فهي واضحة محكمة كانت "رسلان وليود ميلاه 1820 " من بين أولى قصائده الطويلة وهي عبارة عن ملحمة تسخر من الأبطال فيها استهانة وسخريّة وشهوانية، فهو يلهو بالصوّر الخيالية والابتكارات التقليدية من أضحى أسلوبه شيئا جديدا إذ انه خليط من تعبيرات الحديث ولخواطر الشّعرية الغنائيّة وهذه القصيدة أي "رسلان وليود ميل" جاءت في زمن الحرب بين الرّومانسيين والإتباعيين فكانت بداية الإتجّاه الأدبي وكل المجالات تشهد بانتصار بوشكين على قوى الماضي بحيث أرسل "زكوفسكي"

([1]) - أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم"، مكتبة النهضة المصرية، 1959، ص 235.

([2]) - أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم، ص 236.

([3]) - رفعت سلام، بوشكين "الغجر وقصائد أخرى"، ص 36.

([4]) - مارك سلونيم، مجمل تاريخ الأدب الروسي، ص 29، 30.

([5]) - رفعت سلام، المرجع السابق، ص 37.

الفصل الثانى

الكسندر بوشكين

إحدى صوره إلى "بوشكين" مكتوبا إلى التّلميذ المنتصر من الأستاذ المنهزم، وصدرت ينبوع " باكتشيساوي"لبوشكين" مرفوقة بمقدّمة للأمير "فيازبمسكي" وأحد المدافعين المبرزين عن الرّومانسية.

وغدت هذه المقدّمة كما لو كانت منشور الجماعة الجديدة ليجد "بوشكين" نفسه أحد قادة الحركة الشّابة كما أعلنت مؤلفاته الدنيوية الأخرى الثورة على القوانين التقليديّة الأدبيّة التي كانت ترمي إلى إضفاء الواقعية على الشّعر، وإلى توسيع مداه الجمالي لتبتعد عن القيود التي تحدّ من حريّة الشّاعر، وربما كان هذا هو الغرض الأساسي لكتابة " يوجين أو نجين " الذي إستغرق فيها مدّة ثماني سنوات من سنة 1823 إلى سنة 1831.[1] وتتألف قصيدة "يوجين أو نيجين" من سبعة آلاف بيت تدور كلّها حول موضوع تافه، غير أنّ الشّاعر جعل منه آية رائعة "فأونجين" أراد العزلة في مكان ريفي، بحيث تعرّف على فتاة أسماها " تاتيانا" والتي كان ينظر إليها بازدراء وعليائية فتهاجمه هي الأخرى، فيجد الرّجل نفسه في حضرة أميرة حسناء، وبجانبها زوجها، تحيط بها الحاشية والمعجبون، وعندما يدرك أنّ هذه الأميرة هي نفسها. "تاتيانا" يبعث إليها بخطاب يعبّر فيه عن حبّه هذه المرّة، فتكون إجابتها هي الأخرى سلبية لا استطيع أن أهبك نفسي، لقد أحببتك وما أزال أحبّك، لكنني متزوجّة ولزام عليّ أن أصون عهد الزّواج هذه هي القصّة،... وهي بسيطة جدا، بحيث يستحيل على أي شّاعر أنّ يتخذّ منها موضوعا عالما يشبه الملحمة الطويلة ولكن شاعرنا تغلّب على ذلك ومالا يصّح هنا

– عند بوشكين- فهذه البساطة فيها شيء من صميم الرّوح الروسيّة. [2]

"ويوجين أو نيجين" قطعة طويلة استلهمها جزئيا من "بيبو" "ودون جوان" وتشيلد هارولد" "لبايرون" كما استلهم "جرافيلياد" من " فولتير" و "أونيجين" مكتوبة بطريقة بالغة التّحرر بحيث تتبادل فيها الفقرات الوصفية مع الانطباعات الغنائيّة والتّأملات ذات الطّابع العام مع الصور الواقعية ويجتمع هذا وذاك لتصبح "يوجين أونيجين" أوّل رواية روسيّة ذات أهميّة قوميّة، تعتبر تحفة شعريّة وهي تفرض لوحات ملّونة للحياة في العاصمة والأقاليم يتخللها وصف لمناظر الطّبيعة الروسيّة، وهي كذلك لوحات زاهية لرجال ونساء روسيين إبتدءا من والديّ "تاتيانا" إلى حبيب أختها تلميذا الرّومانسيين الألمان، وتمثل "أونجين" البطل الرئيسي وعلى كل فإنّ "بوشكين قد حاول التّعبير عن وعي قومي وقد بيّن إهتمامه بالتّاريخ الرّوسي من "بوريس جودونوف" إلى ابنة الكابتن مدى إكبابه على مشكل مصير الأمّة وفي الفارس البرونزي 1832 وهي من أهم القصائد الروسيّة في القرن التّاسع شعر، يخلط فيها الشّاعر ما بين صورة الإمبراطور وتمثل بطرس المقام على شاطئ "النيفنا" فيقارن الجواد وهو واقف على أرجله الخلفية متأهب للقفز في قبضة الفارس الرهيبة بروسيا التي يمسك بزمامها للقيصر وفي القصيدة وصف لفيضان 1824 الذي هدد "سانت بطرسبورج" بالغرق وتصيب الحاكم العنيف بطريقة غير طبيعية وهو ما دمرّ سعادة "يونجين" هذا المستخدم الصّغير الذي يتحدى بطرس ويلقى حتفه في جثام كابوس.[3]

أمّا عن الجانب الجمالي أو الشكلي عند "بوشكين" فنجد أنّه لا ينطلق من متطلبات الشكل التجريديّة ولا يستند إلى تفصيل حياة الشّاعر وإنّما هو تعبير عن ارتباط الشّاعر الشديد بالحياة فالمسألة ليست تمردّا على الشكل الشّعري أو مجرد رغبة في التّجديد أو تحويلا للغة أو ضربا للصيغة الشعريّة القائمة.... بل هي مسألة تقديم لرؤيا جديدة للعالم تمثل الواقعيّة الروسيّة التي استند

([1]) - مارك سلونيم، مجمل تاريخ الأدب الروسي، ص 34 ،36 (بتصرف).

([2]) - أحمد أمين وزكي نجيب، قصة الأدب في العالم، ص 233، 234 (بتصرف).

([3]) - مارك سلونيم، مجمل تاريخ الأدب الروسي، 36، 41 (بتصرف)

الفصل الثانى

الكسندر بوشكين

اليها "ليرمونتوف" "وجوجول" وفي أعماله تشتبك اللغة والأشكال الفنية الجديدة بثورته ضد الظلم، والقناعة والاستبداد...

كما يشتبك الأسلوب الشعبي مع اتجاهاته الاجتماعية الواضحة التي تعتبر ثورة ارتفع فيها صوت "بوشكين" مدويا بكل ما يختزنه التّاريخ الرّوسي من شوق للإنعتاق والحريّة.[1] إنّ شاعرا "كبوشكين" الذي لم تنجبه المعارك في عهد الكسندر الأوّل بل كان ملتهفا عليها يثور مبغضا هذه "العظمة الخلفية" وينقلب مضطرا للدّفاع عن الفنّ ساخرا ممن طلبوا منه نظم القصائد لتأييد الأخلاق الاجتماعيّة السّائدة.

اذهبوا أيها المنافقون !
ماذا يهتم الشاعر إلا من مصيركم ؟
اذهبوا وانغمسوا بوقاحة في الإثم !
فمعكم لن يحمل الغناء أي قيمة
وإزاء أفعالكم أدير ظهري."[2]

ومن خلال كل ما سبق يتضّح لنا الشّاعر العظيم "بوشكين" من كبار شعراء الرومانسيّة في الأدب الرّوسي وذلك من خلال إبدعاته التي فاقت جهود الألمان والانجليز.

([1]) - رفعت سلام، بوشكين "الغجر وقصائد أخرى"، ص 39 (بتصرف).

([2]) - رفعت سلام، بوشكين "الغجر وقصائد أخرى، ص 42.

الفصل الثالث: الرومانسيّة عند الكسندر بوشكين

في نموذج الغجر

I- قصيدة الغجر

II- محتوى القصيدة

III- الرومانسيّة عند بوشكين (دراسة القصيدة)

I- قصيدة الغجر:

بدأ "بوشكين" كتابتها في يناير 1824، قبل نفيه إلى "ميخايلوفسكوي" وفي منفاه عاد إليها واستمرّ يعمل فيها مدّة شهرين كاملين، حتى [illegible]ا، ولم يسمح الوضع السياسي ـ عقب فشل انتفاضة الديسمبرين ـ بنشرها ولم تظهر القصيدة مطبوعة إلاّ في عام 1827 دون ذكر اسم المؤلّف، واكتفى فقط بكتابة "كتبت في 1824"

II- محتوى القصيدة:

يحتّل الإنسان الزّائد عن الحاجة مساحة كبيرة في أعمال "بوشكين" إنّه الإنسان الذي لا يرى معنى للحياة، ولا يجد مبرّرا للقيام بأيّ نشاط، ومع هذا يتميّز بطموح غير مثمر للعمل، وبالأمل في القيام بشيء ما نافع، لا يقوم به أبدا، ولا يملّ من البدء بهذا الشيء أو ذاك، إلاّ أنّه لا ينهيه أبدا...![1]

وعن هذا الإنسان تحكي أحداث قصيرة الغجر، بحيث تستقرّ مجموعة من الغجر على سهب قرب أحد الشّواطئ، فتحطّ رحالها وتقيم خيامها بين أحضان هذه الطبيعة الهادئة، وبالقرب من إحدى الخيام يجلس شيخ مسنّ ينتظر ابنته الشابّة "زمغيرا" التي تعشق التّجوال في اللّيل، وبعد ساعة متّأخرة تأتي الفتاة برفقة رجل يدعى "اليكو" ـ وهو بطل القصّة ـ هذا الرّجل الذي فرّ من المدينة إلى الطبيعة، ولحسن حظه سيرحب به والد زمغيرا ـ بعد طلب منها ـ ليعيش في هذا الهدوء والسكينة، ويشاركهم حياة الغجر الطليقة الحرّة، ويخرج "أليكو" ليتّأمل الطّبيعة في الصّباح، فيجد حشودا من الغجر قد سبقوه، ثم يذهب في خياله ليحلم بهذا الجمال الطّبيعي، فهو الآن سعيد، وخاصة بعد زواجه من زمغيرا ذات العينين السّوداوين، وتتوالى الأيّام والشّهور على "اليكو" وهو في منتّهى سعادته يحيا حياة الغجر الحرّة، فهو كالطّائر الذي جاب أرجاء الكون فطاف الجبال والسهول، وحام حول الأنهار والوديان وحيثما يغلبه الليل ينام، أيّة حرّية هاته التي ينعم بها "أليكو" !

ويأتي يوم تسأل فيه "زمغيرا" زوجها "اليكو" إذا لم يعد يؤثر فيه ماضيه، فيجيبها أنّه قد تحرّر من تاريخه، وهو غير نادم على ذلك فعثوره على حبّ "زمغيرا" هو كلّ ما يتمنّاه، وبدونه تكون الحياة تافهة لا طعم لها، لذلك فهو يطلب منها أن لا تتغيّر وأن تبادله الوفاء في الحبّ حتى الموت.

ويمرّ عامان على الغجر وهم لا يزالون يطفون السهب وحيثما تأخذهم الطرق يجدون التّرحيب في استقبالهم وحتّى "اليكو" قد تأقلم معهم ونسي حياة المدينة، ولكنّه يستيقظ في أحد الأيّام على صوت زوجته وهي تغني: يا زوجي العجوز، يا زوجي الرّهيب... اذبحني... أحرقني... صلبة أنا... لا أخشى سكّينا أو نارا... أكرهك... أحتّقرك... رجلا أخر أحبّ... ولأموتنّ حبّا، فيطلب منها الكفّ وعدم إعادة هذه الأغنية مرّة ثانية، غير أنّها تتمادى في عصيانه وتكمل أغنيتها فيصيح "اليكوا" في وجهها ويطلب منها السّكوت، ولكن دون جدوى فهي تستمرّ في غنائها غير مبالية به.

وفي إحدى الليالي تستيقظ "زمغيرا" مفزوعة لتوقظ أباها وتخبره عن حالة "اليكو" الذي كان يئنّ بصورة مفزعة ذاكرا اسمها فيخبرها والدها أنّ سبب ذلك هو تعلّقه الشّديد بها، ولكنّها على عكس ذلك فهي قد ملّت الحبّ الذي قيّدها وهي عاشقة الحرّية ويزداد أنين "اليكو" عن الحلم المزعج الذي حلم به، ويمرّ حديث بين الشيخ ـ والد زمغيرا ـ و"اليكو" ليخبر اليكو الشّيخ بأنّ "زمغيرا" تخونه، فيحكي الشّيخ لأليكو قصّة حياته مع عشيقته "ماريولا" التي تخلّت عنه تاركة له

([1]) ـ رفعت سلام، بوشكين "الغجر وقصائد أخرى، ص 139.

"زمغيرا" طفلة صغيرة، ومنذ ذلك الوقت، رفض كلّ عروض الزواج، فيسأله "اليكو" عن عدم انتقامه من زوجته الخائنة، فيجيبه ببرودة أن الحبّ الغجري كالطّائر الذي يطير متى شاء، وإلى أيّ مكان شاء، ويندهش أليكو بجوابه، ولكنّه يخبر الشّيخ بأنّه لو يعثر على غريمه سيقتله حتما.

وتلتقي "زمغيرا" بعشيقها الغجري بعد أفول القمر، وحينها يكون "اليكو" نائما تطارده أحلاما مخيفة ثم يستيقظ ليبحث عن زوجته، فلا يجدها، وعندها يخرج باحثا عنها، ويعثر عليها مع عشيقها في مقبرة قرب المخيّم فيتسلل إليهما ليسمع همسهما، ثم يظهر بينهما حاملا خنجرا في يده، فيطعن غريمه، وتصيح زمغيرا": لقد قتلته... وتسترسل في شتمه، فيطعنها هي الأخرى، ويقبع أمام الجثّتين حتّى يجتمع قوم الغجر عليهم،... تدفن الجثّتان، ويقترب والد زمغيرا من اليكو ويطلب منه الرّحيل عن قبيلة الغجر لأنّه لا يستطيع أن يحيا حياتهم وان يتمتّع بحرّيتهم أو حتّى أن يفكّر بتفكيرهم، ويغادر الغجر بعد ذلك المكان الذي وقعت فيه الكارثة، ليبقى المكان خاليا لا تسمع فيه سوى أصوات الطبيعة الجميلة.

من خلال استعراضنا لقصيدة الغجر يظهر لنا أليكو هذا البطل الرومانتيكي، صاحب الطبائع الحسنة، التّافهة في جوهرها لأنّها أنانية، فأفكارها تظهر في عينيه باعتبارها الحقيقة الوحيدة، وإذا ما أهينت مشاعره الشخصيّة، فإنّه يضنّ أنّ العالم بأكمله قد أهين من خلال ذاته، وحينها لا توجد وسيلة للانتقام يمكن اعتبارها غير مشروعة، وحتّى بفراره من المدينة، ومعانقته حياة الغجر باحثا عن الحريّة فإنّه لا يرى غير حريّته وذلك نابع من أنانيته، وإنكاره المدينة لا يعني إنكاره لأسس علاقاتها فهو، أصبح أسيرا لها لا يتصرّف بدونها، وحبّه لزمغيرا الغجرية الحرّة هو امتلاك لها وفرارها عنه لا يجازى إلاّ بالقتل، على عكس الغجر الذين يرون في الحبّ تلك النزوة العابرة غير الخاضعة للقواعد، فالحبُّ عندهم حريّة ولعب ومصادقة وهذه الحرّية تدفع بالحبّ إلى التّسامح الأقصى لتنفي كلّ معاني الخيرّ والشرّ والمحرّم والمباح، فهي حريّة إنسانيّة مطلقة ونجد أنّ "اليكو" لم يتخلّ عن ماضيه بما فيه من قوانين المدينة، وبالمقابل نجد أنّ قبيلة الغجر لم تتخل هي الأخرى عن قوانين علائقها، فهمم لا يؤمنون بالانتقام وحلّهم الوحيد هو رفع الخيام وتتبّع التّجوال اللاّمتناهي بين أحضان الطبيعة مخلفين ورائهم عربة "زمغيرا" المهجورة، والطائر الجريح الذي لا يستطيع التّحليق، وهو الرّجل الذي خرج من قيود حياة المدينة، ولكنّه لا يملك القوّة ليحرّر نفسه منها ألا وهو "اليكو".

III- الرّومانسية عند بوشكين:

عانى "بوشكين الكثير في حياته فقد ذاق العذاب والاضطهاد من الطّبقة الحاكمة ومن أنظمتها الجائرة كما ذاق ألم الغربة والوحدة في منفاه، ويرجع مصدر آلامه إلى العادات والتّقاليد والقوانين التي تسيّر المجتمع الرّوسي آنذاك فكانت بمثابة القيود الحديدية التي كبّلت أيادي وأرجل الشّعب وشكّلت لع عائقا للسير نحو ممارسة الحياة والتمتّع بها بكرامة وحرية ومساواة.

لهذا أراد بوشكين أن يؤدي رسالة في هذه الحياة المتمثّلة في الثّورة والتمرّد على المجتمع وعلى الأنظمة الجائرة والدّعوة إلى بناء عالم جديد قائم على أسس من الحقّ العدالة، الحريّة، المسّاواة والحبّ فعمل على تغيير تلك القيّم وإسقاط الطبقيّة، بوضع بناء جديد أفضل فكان تصوّره للحياة والمجتمع موجودا في خياله، وقد سعى لتحقيقه من خلال كتاباته، ناشرا أفكاره، محاولا تجسيدها في الواقع.

إنّ رومانسيّة "بوشكين" لم تكن مجرّد رومانسيّة مفعمة بالعواطف القويّة، بل كانت أكثر من ذلك، تحمل رسالة إصلاحية مدفوعة برغبة التغيير وعلى هذا الأساس سنعرض أهم المبادئ التي جاءت بها رومانسيّة "بوشكين":

1- الثّورة والتمرّد:

حيث كانت الثّورة والتمرّد على السّلطة وقوانينها وعلى العادات والتّقاليد التي كانت تسود مجتمعه وقتئذ، وبما أنّ "بوشكين" عاش ذلك الضغط والاستبداد الإنساني من طرف الحكّام، وطبقة النّبلاء ثار وتمرّد ليغيّر ذلك الواقع المرير الذي فُرضَ على الشعب ويبدو هذا من خلال نشدانه الحريّة ولجوئه إلى الطّبيعة والحياة البسيطة والتي هي حياة الغجر الذين يعيشون بين أحضان الطّبيعة، متجوّلين من مكان لآخر بكلّ حريّة وسعادة، وكيفما شاءوا، بدون أي قيد أو قانون يفرض عليهم، فلهم قوانينهم الطّبيعية الخاصة بهم وهي تُحترم من طرف الجميع بتفاهم وتآخ ومساواة ودليل ذلك قوله في الغجر:

هم اليوم يقضون ليلتهم على الشّاطئ
في خيامهم المثقبة.
إنّ مبيتهم لبهيج كالحرّية.
ورقادهم الآمن تحت السّماء.

بذلك طلب من الإنسان الرّجوع إلى الطّبيعة، إلى الوطن الأصلي للإنسان، إلى البراءة، وينفض عنه غبار المدينة التي تمدّ للإنسان السّعادة، مثلها مثل بقيّة الأنظمة الوضعية والعادات التي تتّسم بها حياة المدينة، ومنه فإنّ "بوشكين" يعتبر المدينة كالسّجن الذي يأسر حرّية الإنسان وقلبه ويحرمه من السّعادة، لذلك يجب على الفرد أن يحطّم قضبان هذا السّجن ويطير في اتّجاه الطّبيعة التي ينعم بها وبجمالها وتّجلى ذلك في البطل الرّومانسي "اليكو" الذي هرب من مدينته من قيودها ومن ظلم حكّامها إلى حياة الغجر الطبيعية الحرّة السعيدة يقول:

وها هي سكينة النوم.
في هبوطها على المخيّم،
وفي الهدوء المتسبب فوق السهوب
لن تسمع غير نباح كلب وحمحمة حصان

النيران قد خبت تماما
وفي اللّيل السّاكن يتألق القمر.
ويقول في موضع آخر:
فدعوته ليبيت ليلته في مخيّمنا
إنّه ليودّ أن يصبح غجريا مثلنا.
فالقضاء يتطلبه
ويقول أيضا:
إنّني لسعيد، إبق معنا إلى الصباح.
تحت سقف خيمتنا
أو إبق بيننا طويلا،...
كما يظهر ملل وضيق اليكو من قيود مدينته في كلامه مع "زمغيرا":
وعلام أتأسف ؟ متى تراك تدركين
متى تراك تتصوّرين
عبودية المدن الخانقة وراء أسوارهم
فلا يتنفّس أحدهم ببرودة الصّباح
أو شذى المروج الربيعيّة،

إذا كان التمرّد على الأوضاع السّائدة في المدينة، أين تُقمع الأفكار، وتباع الحرّية، ويفقد الرّجل كرامته أمام الحكّام، حيث الخيانة والتّزوير والعار، حيث لا حبّ ولا جمال في الحياة، كل شيء يشترى ويباع بالأموال، فالمال لا يمدّ الإنسان بالسّعادة، والجمال الحقيقي بالنسبة "لبوشكين" هو الجمال الطبيعي، ويظهر ذلك في قوله:

أيّة أعياد مرحة لدى سكان المدن؟
ما من بهجة هناك حيث يفتقد الحبُ.
والصّبايا !... إنّك الأجمل منهنّ،
هكذا دونما زينة غالية
دونما لآليء أو قلائد !.

2- **الحبّ الرّومانسي**:

"فبوشكين" ينشد المحبّة لأنّها كفيلة لبناء حياة سعيدة، ومن ثمة يستطيع الإنسان أن يسمو روحيا ومن حقه العيش مع من يحب بوفاء وإخلاص، وذلك الحبّ المتمرّد المتحرّر، الذي لم تكرسّه الأنظمة، فالحبّ عند بوشكين هو "حبّ رومانسي" لأنه يؤمن بالعاطفة وعصمتها، يطهر النّفس ويضيئها فتكشف الواقع والتّخلف والجهل، إذ يقول:

لا تتبدلي يا صديقتي الحنون!
أمّا أنا... فإنّ لي مطمحا واحدا:
أن أتقاسم معك الحبّ وساعات الفراغ
ومنفاي الاختياري هذا.

فالحبّ عبارة عن انفجار العواطف والانفعالات الإنسانيّة، وهو الطريق الوحيد نحوى الحرّية والانسلاخ من سجن الواقع وقيود وقوانين المدينة إلى عالم الروح والخيال، فالمحبّة هي الحرّية الوحيدة في هذا العالم لأنّها ترفع النفس إلى مكانة سامية، لا تبلغه الأنظمة الوضعية البشرية ولا تسوده الطبقيّة بل تتلاشى أمامه لتبقى المحبّة وحدها في أحضان الطّبيعة.

3- **الطّبيعة:**

استطاع "بوشكين" أن يستقي كتاباته من الطّبيعة لأنّها كانت بالنسبة إليه منبع الطمأنينة والراحة والطّهر والجمال بعيدا عن ماديّة وقساوة المدينة ويصبح كلّ النّاس سواسية لا فضل لواحد على الآخر، لا بالمجد ولا بالمال ولا بالسّلطة، إنّها مكان يرتاح فيه الإنسان من القلق والضّجيج

الموجود في المدينة. وتجسّد ذلك كما سبق وأن ذكرنا في هروب "اليكو" من قوانين المجتمع المدني إلى الطّبيعة، باحثا عن الحرّية والعدل والمساواة والحبّ...، فالطّبيعة هي موطن الهارب من مدينته، وهي بمثابة الأمّ الحنون العطوف على أبنائها التي توفر لهم الرّاحة والطمأنينة وتقابل إساءتهم بالحسنات، فوصفها "بوشكين" ووصف حياة الغجر بأسلوب رائع، فهي كائن روحي كامل، مثال ذلك قوله:

إنّ كلّ شيء ليبدو نشطا وسط السهوب:
الأسرة في مشاغلها البسيطة.
وهي تتهيأ لرحلتها مع الفجر إلى مكان قريب.

فالمدينة تخنق ابنائها وتجعلهم وحوشا، لا يرون إلّا ما يبرق من الذّهب ولا يسمعون إلاّ رنين قطع النّقود، تلك هي المدينة التي تحكمها الشرائع والقوانين الإنسانية التي تخدم مصالح القويّ وتدوس على رؤوس الضعفاء.

والحرّية هي أساس الحياة إذ لا يمكن بلوغ القصد من حياتنا فوق هذه الأرض، إلاّ إذا كنّا أحرارا فلا يجب أن نصير عبيدا لمخلوق ما.

4- الإنفراد والوحدة:

إن الذات برغم من اتّصالها مع الذوات الأخرى، فإنّها تبقى وحيدة، وحيدة بأفراحها وبأحزانها فهي كالجزيرة في بحر الوحدة والانفراد، غريبة عن باقية الذوات مهما توطّدت الصّلات بينهم، ومهما تقاربت فإنّها تبقى غريبة، جوهرها مجهول والمثال على الإنفراد والوحدة قول الشّيخ:

كئيبا كان يومه كلّه،
متسكعا على ضفاف الدانوب
ساكبا دموعا مريرة،
متذكرا مدينته النائيّة.

إنّ هذه الغربة والعُزلة تجلب الألم والقلق والحزن، وتتوجّع لها النّفس، فتحاول أن تقضي على هذه الوحدة بكلّ الوسائل والطّرق، لكنّها لا تتمكن من ذلك فتبقى الوحدة والغربة محكوما عليها يقول:

غير أنّه سواء في الزوبعة أو الطقس الجميل
كان يغمض عينا غير مؤرقة.
هكذا عاش غير مكترث
بقضاء المصير الغادر الأعمى.
ويا إلهي! كم قد تلاعبت الرغبات
بروحه الطيبة!
وبأيّما قلق كانت تغتلي
في صدره المعذّب.

لكن رغم ما تبعث هذه الوحدة من الألم في نفس الإنسان، فهي التي تمنح له صفته الذاتية التي تميزها عن باقي الذوات.

5- الأحلام:

من الخصائص التي وضّفها "بوشكين" هي خاصية الأحلام إذ يقول:

حلمت بك.
كما لو كما لو أن بيننا...
كنت أرى أحلاما شنيعة.

ويقول في موضع آخر:

آه، أنا لا أصدق شيئا
لا أحلم ولا التأكيدات الحلوة.

هذه الأحلام عكست لنا نفسية "اليكو" القلقة المضطربة فحبّه الكبير "لزمغيرا" جعله يشكّ في خيانتها له، هذا ما جعله يعيش في القلق والحزن إلى غاية اكتشافه تلك الخيانة، فقتلها وقتل معها غريمه، من هنا يتجلّى لنا أن حبّ "اليكو" لزمغيرا" يعتبر امتلاكا لها، وهذا مناقض لطبيعة الغجر، فهم يملكون الحريّة المطلقة إذن رغم هروب "اليكو" من قيود المدينة إلى الطّبيعة وحريّة الغجر، فإنّه يضلّ متمسّكا بتقاليد مدينته، ويبدوا ذالك في حبّه للانتقام، وفي قتله "لزمغيرا" وعشيقها حيث يقول له الشّيخ:

أتركنا أيّها الرّجل المتكبّر!
نحن بدائيون، لا قوانين لدينا.
نحن لا نؤذي أحدا أو نعاقبه بالموت
لسنا بحاجة إلى الدّم أو الأنين.
غيرأننا نرفض العيش مع قاتل...
أنت لم تولد لبدائيّتنا هذه،
أنت تروم الحرّية لنفسك وحدها.
سيكون صوتك فضيعا في أسماعنا.

إذ نجد أنّ "اليكو" برغم من لجوئه إلى حياة الغجر الحرّة غير أنّه ما زال يحمل طبائع مدينته، فلا يستطيع التّخلي عنها أبدا وبالتالي يعيش في قلق واضطراب دائم، مقيَّد ومكبَّل بالأنظمة والقوانين، فحرّيته تبقى دائما نسبيّة.

6- **العنصر الدّيني**:

ويمكن استخلاص العنصر الدّيني في القصيدة بالتعرّض للشرّ والموت، دفع به للخوض في القدر، وهذا يدّل على إيمانه بالعقيدة ومثال ذلك في قوله:

فأينما تتوجّه ثمّة رغبات قاتلة
وأقدار لا رادّ لها.

ويقول في موضع آخر:

فحين تبزغ الشمس الفاتنة القافية
يصيح بسمعه إلى كلمة الله.

7- **اللّغة:**

عرفت اللّغة منذ القديم على أنّها أداة تعبير يلجأ إليها الإنسان ليفصح عمّا يدور بذهنه، وما يختلج في فؤاده من أحاسيس ومشاعر واللّغة الشعريّة تختلف من شاعر لآخر فلكلّ واحد رصيده اللّغوي ومعجمه الخاص به، فيأخذ منه ما يشاء فتختلف لغته عن اللّغة العاديّة التي يتداولها الناس فيما بعد. لذلك يعود الفضل لبوشكين في تغيير اللّغة الأدبيّة الرّوسية وتطعيم أسلوبها بالشّعر القديم.

إذ نجد الشّعر الرّوسي قبله كان بدرجة كبيرة غرسا لنباتات منقولة من أرض أجنبيّة، فخلق جميع متطلّبات التعبير الشعري عن أفكار الشعب وآرائه وأحاسيسه في نفس الوقت الذي خلق فيه متطلبات التّطور المقبل للثقافة الرّوسية.

حيث كان مقدّرا لبشوكين أن يكون أوّل من يفجّر هذه الينابيع ولم تعد اللّغة الفخمة سوى دليل على التّعالي والعجرفة الممقوتة وحلّت مكانها لغة أقرب إلى لغة الشّعب بسيطة تختزن آلاف الصوّر، عذبة تنفجر بالموسيقى والسخونة.

وعلى سبيل المثال قوله:

هكذا أحيانا، قبيل الشتاء،
في الصّباح الضبابي،
حين يرتفع عن الحقل

سرب من الغرانيق المتّأخرة.

وإذ نحن نظرنا حتى في كلمات الشّاعر وجدناها قريبة من القارئ فلا تقف غرابة اللّفظ مثلا حجر عثرة في سبيل تذوقه للقصيدة أو الجزء منها بل العكس هو الذي يحدث فإنّ ائتلاف القارئ للكلمات يساعد على تحقيق الحدّ الأقصى من التّفاعل والشّكل التّعبيري.

ومن خلال معاني القصيدة يتّضح لنا بأنّ بوشكين مؤمن بأن الوسيلة الوحيدة لإحياء اللّغة في قلب الشّاعر وعلى شخصيّته هي البساطة والوضوح وبهذه اللّغة السهلة المألوفة عبّر بوشكين عن فلسفته في التّقمص ووحدة الوجود.

ولم يكن بوشكين الوحيد بين أدباء عصره الذي حاول توظيف لغة جديدة، وهذه اللّغة الجديدة التي تظهر بأنّها اختيرت بإمعان كانت صحيحة من وجهة نظر قاموسية إذ يكشف لنا عن ولعه بالألفاظ الرّومانسية مثل القمر، الشاطئ، السماء... الخ وفيما يتعلق بلغته بشكل عام نستطيع القول بأنّه أضطر إلى أن يختار كلمات محدودة من التّراث بشرط أن تكون لها دلالة الرّمز الذي يعبّر عن شيء قد يألفه القارئ.

8- الصّورة:

لقد لجأ بوشكين إلى الصّورة الفنيّة والتي تتداخل بعضها في بعض إضافة إلى تشابك الاستعارات والتّشبيهات يدعمها خياله الصافي، وتستثير صوره الأحاسيس بطريقة وصفة للأشياء وهي طريقة جديدة بالغة العاطفة.

إذ نجد بوشكين حينما يستخدم في صّوره كلمات وتراكيب يقبلها المتلقي على الفور، بالرغم من أنّ أغلبها جديدة.

يعتمد بوشكين على الصورة الفنيّة التي يقدّمها في اكتمال عضوي وفي شكل يحفظها حيّة حيث يستخدم فيها كلمت بأسلوب رومانسي مليء بالصور ومن هذه الكلمات مثل "الحقل" "الليل" "القمر"... الخ، والتي نجده يعبّر عنها من خلال صور ملموسة كما في قصيدته:

وقد غشته أبخرة اللّيل.

شبّه اللّيل وهو شيء معنوي بالماء الذي يتّبخر وهو شيء محسوس فحذف المشبّه به وترك المشبّه على سبيل الاستّعارة المكنيّة.

كذلك في قوله :

سيهجر اللّيل السماء

شبّه القمر وهو شيء معنوي بالإنسان الذي يهجر إلى مكان ما، على سبيل الاستّعارة المكنيّة أيضا.

ويقول في موضع أخر:

هكذا تنتعش في ذاكراتي الضبابيّة

شبّه الضبابيّة وهي شيء معنوي بالنّسيم الذي ننتعشه.

كذلك نجد التّشبيه في قوله:

إن مبيتهم لبهي كالحرّية

وهو تشبيه عادي

وفي الغالب ما يدفع المتلقي بأن يشعر بأن الأشياء المجرّدة ليست حقيقيّة فحسب بل إنّ ّها جوهريّة كذلك.

ويستطيع أن يثبّت هذا الشعور بلجوئه إلى أساليب رومانسيّة أخرى، كالتّكرار مثل كلمة "اللّيل" والإيقاعات المتدفقة المناسبة.

وفي كثير من الأحيان نجد بأنّ رموز بوشكين بتركيبها الفكري نابعة من مصادر رومانسيّة، فقصيدته الغجر ترمز إلى تعقّد الحياة وتأزّمها والشعور بالغربة في هذا الوجود ومن هذه الرموز نجد اللّيل والحقل... الخ.

فاللّيل هنا نجده يوحي بظلمة الحياة والوحدة وتهاطل الهموم والأحزان واللّيل رمز وظّفه الشّاعر غالبا لذته كما يرمز حينا أخر إلى غوص الشّاعر غي أغوار الذّات، ما يحتدم فيها من حبّ وكراهيّة.

ومن خلال دراستنا لقصيدة الغجر يتضّح لنا الإتّجاه الرّومانسي جليّا عند "بوشكين" وخير دليل على ذلك ما ختم به قصيدته الغجر فيما يأتي:

غير أنّ السّعادة المفتقدة بينكم أيضا
يا أبناء الطّبيعة المساكين
فتحت خيامكم المثقبّة
تكمن أحلام موجعة
وبيوتكم المرتحلة
أدركتها القفار المصائب
وأينما تتوجّه ثمّة رغبات قاتلة وأقدار لها.

خاتمة:

إنّ انتاجات الأدباء في مجال الرومانسيّة ليست مجرّد تعبير عن مذهب أدبي وحسب بل هي تعبير عن نظام اجتماعي وموقف ثقافي عام، ولعلّ الإلهام والشّعور هما منبع الشّعر الصّادق الذي ترتكز عليه الرومانسيّة بالإضافة إلى الثورة على الجمود في الموضوع والأسلوب والصّورة الفنيّة إذ يهتّم بتصوير شرور المجتمع وآفاته وضحاياه خاصّة في أدبها حيث أنّ الرومانسيّة المعروضة في البحث ما هي إلاّ تلخيص لبعض الأسسّ التي تقوم عليها ولا يمكن حصرها في هذه الصفحات المعدودة فهي تتجاوز خطوط الكتابة إلى هيام العقل واسترسال الخيال مثلما هو الحال مع الشّاعر الرّوسي الكسندر بوشكين الذي يعدّ من أكبر شعراء عصره بدون منازع في بلد لم تكن تفتقر للشعراء.

ومن أبرز النقاط التي استخلصنها من هذا البحث ما يلي:

1- دعوة المذهب الرّومانسي للتّجديد والإبداع والثورة ضدّ الكلاسيكيّة.
2- الأدب الرّومانسي أدب الخيال والعاطفة فمن خلال المصنّفات الأدبيّة التي تناولناها في الفصول السّابقة نستطيع القول بأنّ هناك خصائص مميّزة لفكر بوشكين وأسلوبه على حدّ سواء هذه الخصائص التي توصف ببعدها على التقليد الأعمى الذي يحوّل الأدب إلى قوالب محنّطة.
3- شعر بوشكين ما هو إلّا تمثيل للنزعة الرومانسية في الأدب الرّوسي ولعلّ أعماله الأدبيّة وآثاره التي تركها ما هي إلاّ تعبير عن حياته وتجاربه الشخصيّة التي خاضها في مأساته مع الطبقة الارسطوقراطية الحاكمة
4- حاول بوشكين جاهدا التغيير والتّجديد في الأدب الذي كان سائدا، كما كان هدفه تغيير المجتمع والنّظام السّائد فيه.
5- عمل أدب بوشكين على إصلاح الأدب الرّوسي والنّهوض به إلى درجة الازدهار والعالمية برغم ما واجهه من عراقيل وصعوبات والمعروف عن أديبنا هذا أنّه تحمّل هذه الأعباء كلّها وتجاوزها بخياله إلى أن اصطدم بواقعه المرّ الذي لقى به حتفه فكانت نهايته المأسوية.

ويضلّ بوشكين رغم كلّ ذلك من أكبر الشّعراء الرومانسيين حاملا مشعل الحرّية والكرامة بين سطور أدبه الخالد الذي قفز به إلى درجة العالمية.

الغجر

في سهوب بيارابيا
يتنقّل الغجر في ضجيج.
هم اليوم يقضّون ليلتهم على الشاطئ
في خيامهم المثقبّة.
إن مبيتهم لبهيج كالحرية
ورقادهم الآمن تحت السماء،
بين عجالات عرباتهم
وقد ثدثرت إلى نصفها بالطنافس،
النار موقدة، والأسرة من حولها
تهيئ العشاء، وفي الحقل الرائق

ترعى خيولهم، وخلف الخيمة
ينطرح الدبُّ المدجّن.
إن كل شيء ليبدو نشطا وسط السهوب:
الأسرة في مشاغلها البسيطة
وهي تتهيأ لرحلتها مع الفجر إلى مكان قريب،
أغان النسوة، ، وصراخ الأطفال
ورنين السندان المتنقل.
وها هي سكينة النوم
في هبوطها على المخيم،
وفي الهدوء المستتب فوق السهوب
لن تسمع غير نباح كلب أو حمحمة حصان.
النيران قد خبت تماما،
وفي الليل السّاكن يتألق القمر
وحيدا في أعالي السماء

الشيخ جعفر: "بوشكين قصائد مختارة"، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، ط1، 1981.

غامرا المخيم بضوئه.
في إحدى الخيم ثمّة شيخ لم ينم بعد.

وقد اتخذ مكانه أمام الموقد.
متدفئا بوجهه الأخير،
متّطلعا لإلى الحقل المترامي
وقد غشته أبخرة اللّيل.
إن ابنته الفتية
لم تعد، بعد، من نزهتها في الحقل المقفر،
فقد تعوّدت هذا الانطلاق المرح.
إنها لعائدة، غير أن اللّيل قد حلّ منذ زمن
وقريبا سيهجر القمر السماء
متواريا خلف السحب البعيدة
ما من اثر لزمغيرا، وعشاؤه المتواضع.
قد أخذ يبرد.
لكن هاهي قد أتت وخلفها
يرى فتى مسرعا خطاه في السهب الممتّد،
إنه لغريب تماما على الشيخ،
(أبتاه ـ تقول الابنة ـ
جئت معي بضيف. وجدته
وراء التّل في السهوب المقفرة
فدعوته ليبيت ليلته في مخيمنا.
إنه ليود أن يصبح غجريا مثلنا
فالقضاء يتطلبه.

لكنني سأغدو صديقة له،
هو يدعى أليكو
وهو راغب في مرافقتي أينما أذهب.)
الشيخ:
(إنني لسعيد، ابق معنا إلى الصباح
تحت سقف خيمتنا،
أو ابق معنا طويلا،
مثلما تشان أنا متهيئ
لأن أقتسم معك الخبز والدّم
كن ابننا، وتعوّد حظّنا من العيش
في انطلاقنا وفاقتنا المتشّردة،
وغدا مع ضوء الفجر
سنرتحل في خيمة واحدة،
وتعوّد أية حرفة تريد:
الحدادة أو الغناء
أو جب القرية بصحبة الدب.)
أليكو:
(سأبقى معكم.)
زمغيرا:
(سيكون رجلي.
من ترى يبعده عني ؟
لكن الوقت قد تأخر .. القُمَيرُ قد غاب
والحقول قد تدثرت بالعتمة
وإني لأحسّ، رغما عني، بالنّعاس..)
تفتّح الصبح. والشيخ آخذ بالتسكّع في هدوء
حول خيمته الصامتة.
(انهضي يا زمغيرا فالشمس قد أشرقت
وأستيقظ يا ضيفي.. فقد آن الأوان !
دعا عنكما لذّة الرقاد يا صغيريّ).
وكان للفجر ضجة وتدفق
فقد طويت الخيام
والعربات على أهبة التّحرك
وها هم، معا في احتشادهم
يغذون الخطى في السهول المقفرة
وقد انطرحت السلال على جانبي حميرهم
حاملين أطفال اللاهيين،
ثم هذا الحشد السائر من الأزواج والأخوة
الأمهات والصبايا، الشيوخ والفتية
في ضوضاء صياحهم وأغانيهم الغجرية
وخوار دببتهم
وصليل السلسلة الحديدية القلق،
في اختلاط أطمارهم الفاقعة

وعري الأطفال والشيبة،
والكلاب نابحة أو عاوية
العربات لها صليل ومزامير القرب في تجاوب،
كل شيء كان بدائيا، فقيرا، متنافرا
غير أنهم في تدفق
وحيوية غريبة على ترفنا الهامد،
غريبة على عيشنا الحامل
كنشيد الأرقاء المتواتر الممل

كئيبا يتطلع الفتى
إلى السهل المقفر
نائيا بنفسه
عن مواجهة أسرار كآبته
إن بجانبه زمغيرا ذات العينين السوداوين
وهو قد امتلك حريته أخيرا،
والشمس البهيجة
تسطع فوقه بجمالها الجنوني.
أي شيء، ترى، يقلق قلبه هكذا ؟
أي هم يضنيه ؟
وهل يعرف طير السماء
مشاغل أو هموما،
أو يجهد نفسه في ابتناء عش
يدوم طويلا ؟
إنه ليهجع على غصنه، آمنا، في كنف الليل
وحين تبزغ الشمس الفاتنة القانية
يصيخ بسمعة إلى كلمة الله.
فينتفض مترنما.
إن الرّبيع، وهو فتنة الطبيعة، ليمرُّ
ويجيء الصيف القائظ،
ثم يحل الخريف المتّأخر
بضبابه وتلبده،
ويحس البشر بالسأم والضيق،
فيشد الطائر رحاله
إلى الجهات النائية عبر زرقة البحر
ليعود ثانية مع الرّبيع.
وهو المنفي المهاجر

لأشبه بالطير السّعيد،
لم يعرف له عشّا مكينا
ولم يعوّد نفسه عادة ما.
إن الطرق لتمتد أمامه أينما اتجّه
وحيثما يتوقف ثمة سقف يؤويه.

وفي نهوضه مع الفجر
يسلم نهاره لمشيئة الله،
فهو في راحة خالصة
لا تقوى على تكديرها مزعجات الحياة
إن نجم السعد الساحر النائي
ليسدد خطاه أحيانا،
فيقع، دونما توقع منه،
على شيء من ترف أو لهو.
وفوق رأسه المتوّحد
غالبا ما انهدت الرعود القاصفة،
غير أن سواء في الزوبعة أو الطقس الجميل
كان يغمض عينا غير مؤرقة
هكذا عاش غير مكترث
بقضاء المصير الغادر الأعمى
ويا إلهي ! كم قد تلاعبت الرغبات
بروحه الطيبة !
وبأيما قلق كانت تغتلي
في صدره المعذّب.
الهادئة هي منذ زمن، ولأمد طويل ؟
لينتظر .. سيستيقظ ذات يوم !

زمغيرا:

(قل لي يا صديقي: أما تحس بأسف
على عالم هجرته دونما عودة ؟)

أليكو:

(وماذا ترني هجرت ؟)

زمغيرا:

(انك لتفهم:
قومك هناك، والمدن.)

أليكو:

(وعلام أتأسف ؟ متى تراك تدركين
متى تراك تتصورين
عبودية المدن الخانقة !
هناك يتكدّس البشر وراء أسوارهم،
فلا يتنفس أحدهم ببرودة الصباح
أو شذى المروج الربيعية،
حيث الحب فضيحة والفكر طريد،
متّجرين بحريتهم
مطأطأة هاماتهم أمام الأوثان،
متوسلين الذهب والأغلال.
أي شيء تراني هجرت؟ حرقة الخيانة.
والفضاء الباطل
وتعسف القوم المجنون

أم هو العار الفاضح ؟)
زمغيرا:
(إن قصورهم فخمة هناك
والطنافس متعدّدة الألوان،
هناك اللّهو والمآدب المكتظّةُ
وكم هي فاخرة أكسية البنات هناك!)
اليكو:
(أية أعياد مرحة لدى سكان المدن ؟
ما من بهجة هناك حيث يُفتقد الحب.
والصبايا! .. إنك لأجمل منهن،
هكذا دونما زينة غالية
دونما الآلئ أو قلائد !
لا تتبدّلي يا صديقتي الحنون !
أما أنا.. فإن لي مطمحا واحدا:
أن أتقاسم معك الحب وساعات الفراغ
ومنفايَ الاختياري هذا.)
الشيخ:
(إنك لتحبنا، مع أنك ولدت
بين قوم أثرياء.
غير أن حريتنا ليست جميلة دوما
في عيني من تعوّد العيش الهانئ.
ثمّة حكاية مأثورة تدور بيننا:
قديما حلّ في ديارنا، قادما من الجنوب
رجل أبعدته القياصرة.
كنت، قبل، أتذكر، غير أني نسيت اليوم،
كنيته الغريبة
كان قد كبر في السّن
غير أن نفسه الطيبة لم تزل فتية ذات حماس.
كان يمتلك موهبة غناء رائعة
وصوته أشبه بخرير المياه،
فأحبه القوم جميعا.
وأقام على ضفاف الدانوب
غير متسبب إساءة لأحد،
ساحرا بأحاديثه المسامع.
لم يكن قد تعوّد حرفة ما،
واهنا، خجولا كان مثل طفل.
لأجله كان يصيد الآخرون
السمك والوحش قي شباكهم.
ما إن تجمد النهر المندفع
وهبّت الأعاصير الشتوية جائشة
حتى تلفع الشيخ الحكيم
بزغب أبيض من ثلوجها.

غير أنه لم يكن قادرا أبدا
على أن يتعوّد الفاقة ومتاعبها.
هكذا طاف شاحبا، ناحلا
معلنا أن الإله الغاضب
يقتصّ منه جرّاء جريمته..
ترى أحل يوم الخلاص أخيرا ؟
كئيبا كان يومه كلّه،
متسكّعا على ضفاف الدانوب
ساكبا دموعا مريرة،
متذكرا مدينته النائية.
وفي ساعة احتضاره
أوصى أن تنقل
عظامه المتشوّقة جنوبا،
فما هي، حتى في موتها هذا،
غير ضيف تائق في أرض غربة !)
أليكو:
(هو ذا مصير أبنائك يا روما،
يا ذات الصّيت الذائع !
ويا مغني الحبّ، يا مغني الآلهة
ألا خبرّني أي شيء هو المجد ؟
أهو العويل عند القبر، والمديح المدّوي
منحدرا من جيل إلى جيل ؟
أم هو هذه القصة يرويها غجري بدائي
تحت سقف خيمته الداخن ؟)
مر عامان. والغجر على عاداتهم
يترحلون بمخيمهم الآمن،
وكعادتهم أينما يحلّو
يجدوا الراحة والترحاب.
وها هو أليكو كغجري حرّ،
مستخفا باغلال التعاليم،
يعيشه وقته متنقلا
دونما هم أو ندم
هنا مقامُه، وهنا أسرته،
وقد تعوّد الحياة الغجرية
ناسيا سنواته الحالية تماما
إنه ليحب المبيت تحت سقوفهم
ومسرات تبطلهم الغجري هذا
ولغتهم الفقيرة الصاخبة
إن الدّب، وقد شُردّ من وجره،
هو ضيف خيمته الأشعث،
وفي القرى، حيال الطريق السهوبي
قريبا من الأكواخ المولدافية،

أمام الأنظار المتشوفة الحريصة
تراه في رقصته المتثاقلة،
عاضّا قيده الباعث على الملل،
حيث يقرع الشيخ دفّه متكاسلا
متوكئا على عكازه،
ويقود اليكوا الدبُّ متغّنيا
وتجوب زمغيرا القرى
جامعة أتاوتها الاختيارية.
وحين يحلّ اللّيل يجتمع الثلاثة معا
أمام قدر من جريش الدخن.
وسريعا ما ينعس الشيخ.. ويعم الهدوء
وها هي الخيمة ساكنة، مظلمة.
هو ذا الشيخ يتدفّأ في الشمس الربيعية،
إن دمه لآخذ بالبرودة.
وعند المهد تتغنّى الابنة بأغنية حب
فيتنصت أليكو شاحبا.

زمغيرا:

(يا زوجي العجوز، يا زوجي الرهيب
اذبحني، احرقني:
صلبة أنا
لا أخشى سكينا أو نارا
أكرهك
أحتقرك،
رجلا آخر أحب
ولاموتن حبا.)

أليكو:

(أصمتي، أضجرتني أغنيتك هذه،
أنا أكره الأغاني الهمجية.)

زمغيرا:

(تكرهها ؟ وما علي ؟
أنا أغني لنفسي.
أذبحني، أحرقني
فلن أقول شيئا.
يا زوجي العجوز، يا زوجي الرهيب
لن تعرفه.
هو أكثر نضارة من الربيع
وأحر من اليوم القائظ
يا لفتوّته وإقدامه !
ولشدّ ما يهواني !
وفي هدوء اللّيل
آية ملاطفة أغدقها عليه !
يا لضحكنا حينئذ

من شعرك الشائب.)
اليكو:
(أصمتي زمغيرا ! حسبي هذا...)
زمغيرا:
(أفهمت أغنيتي أخيرا ؟)
اليكو:
(زمغيرا !)
زمغيرا:
(أنت حرّ في أن تغضب،
أنا عنك أغني هذه الأغنية.)
"تغادر وهي تغني: يا زوجي العجوز.. الخ"
الشيخ:
(أنني أتذّكر، أتذّكر هذه الأغنية،
حين كنت قويا شابا
طالما أطربت المسامع
وترددت على الشفاه
يومئذ كنّا نتنقل في سهوب كاغول
وكنت أسمع، في ليالي الشتاء،
عروسي ماريولا متغنيّة بها
وهي تهز مهد طفلتنا قرب النار
إن السنين المنصرمة، من حين إلى حين،
لتزداد إظلاما في ذاكراتي،
غير أن هذه الأغنية
عميقا قد استقرت فيها.)
في الهدوء الليلي الشامل،
والقمر يضيء السماء الجنوبية الزرقاء،
هي ذي زمغيرا توقظ أباها:
(أبتاه..إن اليكو لمخيف.
أصغ.. إنه يتّأوه وينتحب
في نموه الثقيل.)
الشيخ:
(لا تلمسيه..ابقي هادئة.
أعرف قصة روسية تقول:
في منتصف الليل
يضيّق الجن القاطنون في المنازل
من أنفاس الراقدين،
وقبيل الفجر ينصرفون.. اجلسي معي.)
زمغيرا:
(أبتاه إنه يهمس باسمي.)
الشيخ:
(إنه لبحث عنك في نومه أيضا،
إنك لأغلى لديه من العالم كله.)

زمغيرا:
(أضجرني تولهّه هذا
وأنا أحس بالملل.. وقلبي يود أن ينطلق،
حقا.. لكن أنصت ! أتسمع ؟
إنه يتلفظ باسم أخر.)
الشيخ:
(اسم من ؟)
زمغيرا:
(أتسمع ؟ آهاته بحّاء
وصربر أسنانه عنيف..أية فضاعة !
سأوقظه.)
الشيخ:
(عبثا..
لا تطردي الروح الليلي
سيذهب بنفسه.)
زمغيرا:
(هاهو يستدير
وينهض إنه يدعوني.. لقد صحا.
أنا ذاهبة إليه. وداعا، نم.)
اليكو:
(أين كنت ؟)
زمغيرا:
(كنت جالسة مع أبي.
أية رؤيا كانت ترهقك !
إن نفسك لتعاني في النوم،
أنك لتخفيني.
كنت راقدا تصر بأسنانك،
وتدعوني.)
اليكو:
(حلمت بك.
حلمت كما لو كأنها بيننا..
كنت أرى أحلاما شنيعة)
زمغيرا:
(لا تصدق الرؤى المخادعة.)
اليكو:
(آه، أنا لا أصدّق شيئا.
لا الأحلام، ولا التّأكيدات الحلوة
أنا لا أصدّق حتى قلبي نفسه.)
الشيخ:
(علام أيها الفتى المجنون،
علام تتأوه كثيرا ؟
القوم أحرار هنا والسماء صافية،

والنساء شهيرات بجمالهن
لا تحزن.. ستقتلك كآبتك.)
اليكو:
(أبتاه إنها لا تحبني.)
الشيخ:
(إهداء يا صديقي .. إنها لطفلة
إن أساك لطائش:
إنك لتحب بقوة وكرب،
وقلب المرأة.. ذو مزاح.
أنظر: تحت القبة السماوية النائية
يتجول القمر دونما قيود
ساكبا ضوءه على الطبيعة كلها
بتساو.. وغير متوقّف في مكان
هو ذا يضيء، بهذا الجلال كلّه،
أية غيمة يتسلّل إليها.
وها قد انتقل إلى أخرى
ولن يستقر عندها طويلا.
من ترى يتطلّب من القمر
أن يمكث في مكان !
ومن يتطلب من قلب امرأة شابة
أن يتوّله مرة.. ولا يتغيّر ؟
فتعزّ.)
اليكو:
(لكم أحبتني !
كم هي رقيقة في عناقها لي،
حيث كنا الليل كله معا
في العراء الصامت !
طالما أمكنها أن تطرد شرود ذهني،
في برهة واحدة،
بالقبلات المرحة،
أو بلعثمتها المحببة
وروحها مترعة بالفرح الطفولي.
وبعدُ ؟ لم تعد زمغيرا أمينة معي،
لم تعد مكترثة بي.)
الشيخ:
(اسمع: سأقص عليك
قصة جرت لي أنا
قديما، قديما حين كان الدانوب
غير مهدّد بسطوة الغازي بعدُ،
"ها أنت ترى يا أليكو
أنني أتذكر حزنا غابرا"
آنذاك كنا نخشى غضب السلطان

وكان بوجاك باشا
يتحكّم من أبراج اقرمان السامقة.
كنت شابا، وفي ذلك الزمن
كنت أغتلي ابتهاجا،
ولم تلح، بعد أية شعرة بيضاء
في جدائلي المجعدّة.
وبين الصبايا الجميلات
كانت وحيدة.. وطويلا كنت أتطلع إليها
كما أتطلع إلى شمس،
وأخيرا أمست لي.
آه، عجولا مر صبايَ
كما يمر الشهاب
وأنت يا هواي..إنما انقضيت
بعجالة أكثر.. لم يدوم حب ماريولا
غير عام واحد لي.

مرة، قرب مياه كاغول
التقينا بمخيم آخر.
وقد نصب أولئك الغجر خيامهم
قريبا منا، عند سفح الجبل،
لم نبت معا غير ليلتين
وارتحلوا في الليلة الثالثة.
وارتحلت معهم ماريولا
تاركة ابنتها الصغيرة.
راقدا في أمن كنت، ومع التماعة الفجر
صحوت فافتقدت رفيقتي.
فأخذت أبحث وأدعو.. وما من أثر لها !
كنت اسمع بكاء زمغيرا المحزن
فأبكي أنا.. ومنذ ذلك الزمن
لم تعد المرأة مبعث ضجر لي،
ولم تختر نظرتي، من بين نساء العالم،
صديقة أخرى في أيما يوم
ولم أعد أتقاسم ساعات فراغي
مع أية امرأة..)

اليكو:

(وكيف لم تسرع لتوّك
متتبعا أثر الجاحدة،
ولم تغمد خنجرك في قلبها الغادر
كما تغمده في قلب وحش ؟)

الشيخ:

علام؟ الصبا طائر حر،
من يقوى على الاحتفاظ بحب امرأة ؟

الفرح إنما يمنح للواحد منا بعد الآخر.
إن ما كان.. ثانية لن يكون.)
اليكو:
(لست هكذا. أنا لن أتخلى
عن حق لي،
أو كنت أتلذذ بالثأر في الأقل.
لا.. لو أنني واجد خصما لي نائما
ونحن في بحر طام لا قرار له
اقسم أن قدمي، في البحر نفسه،
لن تعرف رحمة لعدّو،
ولكنت أدفع به، غير شاحب،
إلى الموج الهائج، وهو الراقد دونما دفاع.
ولكان عتابي قهقهة ضارية،
موقضا رعبا مباغتا فيه،
ولظلّ دوي سقوطه،
طويلا، مضحكا وممتعا لي
فتى غجري:
(قبلة أخرى.. قبلة..)
زمغيرا:
(آن أن أذهب: إن زوجي غيور حقود)
الغجري:
(أخرى.. لكن طويلا.. قبلة وداع.)
زمغيرا:
(وداعا قبل أن نفاجأ.)
الغجري:
(قولي متى نلتقي ثانية ؟)
زمغيرا:
(الليلة، حين يبزغ القمر.
هناك وراء التل.. فوق الضريح.)
الغجري:
(تكذبين لن تحضري.)
زمغيرا:
(ها هو.. أهرب.. سأحضر يا حبيبي.)
نائما كان اليكو. وذهنه
فريسة رؤى مبهمة.
ها هو وقد استيقظ صارخا في الظلمة.
يمد يدا غيري، آخذة بالوجل،
غير أن يده
لا تمسك بغير الأغطية الباردة
إن صاحبته لبعيدة..
فينهض برأسه، هلعا، ويصغي..
إن الرعب ليمتلكه في الهدوء الشامل

وفي عروقه ترتكض النار والصقيع،
فينهض ويغادر الخيمة.
رهيبا كان تسلله حول العربات،
حيث السكون عميق والحقول صامتة،
اللّيل عاتم وقد احتجب القمر في الضباب
إن النجم ليضيء قلقا، خافتا،
وآثار الخطى ترى بصعوبة على النداوة
فتقوده إلى التلال البعيدة
جزعا، متعجلا،
متتبعا الأثر المشؤوم
ثمة قبر على حافة الطريق.
يلتمع، أمامه، عن بعد..
فيجر قدميه الآخذتين بالوهن
وقد أنهكته الهواجس،
شفتاه ترتعشان، ركبتاه ترتعشان،
وفجأة، ، أم هو في حلم ؟
فجأة يرى ظلين غير بعيدين
ويسمع همسات عن قرب،
فوق الضريح المنتهك.
صوت أول:
(آن أن أنصرف).
صوت ثان:
(انتظري).
صوت أول:
(آن أن انصرف يا حبيبي).
صوت ثان
(لا.. لا، ابقي)،
صوت أول:
(الوقت متأخر الآن).
صوت ثان:
(ليكن حبك أكثر جرأة..
لحظة..)
صوت أول:
(انك تقتلني).
صوت ثان:
(لحظة..)
صوت أول:
(أتدري.. إذا استيقظ زوجي
ولم يجدني ؟)
أليكو:
(لقد استيقظت.
إلى أين ؟ لا تسرعا أنتما معا.

هنا أيضا يطيب لكما عند القبر.)
زمغيرا:
(يا صديقي أهربن اهرب..)
اليكو:
(قف إلى أين أيها الفتى الجميل ؟
انطرح !)
"يغمد السكين في صدره."
زمغيرا:
(اليكو !)
الغجري:
(أنني أموت..)
زمغيرا:
(اليكو.. انك تقتله !
انظر: انك لملطخ بالدم !
آوه، ماذا فعلت ؟)
اليكو:
(لا شيء.. عيشي حبه الآن.)
زمغيرا:
(لا.. كفى، لن تخفيني !
إنني استهين بوعيدك
وألعن جريمتك.)
اليكو:
(موتي، إذن، أنت أيضا.)
"ينحرها".
زمغيرا:
(عاشقة أموت..)
الأفق الشرقي، وقد أضاءه الفجر،
آخذ بالتلألؤ. وخلف لتل يرى اليكو
ملطخا بالدم، والسكّين في يده،
مقتعدا الضريح الحجري
وأمامه تنطرح جثتان
كان وجه القاتل رهيبا،
وقد أحاط به الغجر
في تردد واضطراب
وكانوا قد حفروا لحدا عن قرب
النساء يتقدمنّ في صف حزين
ويقبلن الميتين في عينيهما.
ويرى الأب الشيخ جالسا على انفراد
متطلعا إلى القتيلة
في جمود كآبته الأبكم.
ها هم الغجر يحملون الجثتين
وفي حضن الأرض البارد

يودعون الاثنين معا.
وعن بعد يتطلع اليكو إليهم
وحين ألقوا فوقهما
آخر حفنة من تراب
تهاوى عن القبر، الحجري، ببطء وصمت.
منطرحا على العشب
عندئذ نطق الشيخ مقتربا منه:
(أتركنا أيها الرجل المتكبر !
نحن بدائيون، لا قوانين لدينا،
نحن لا نؤذي أحدا أو نعاقبه بالموت.
لسنا بحاجة إلى الدم أو الأنين.
غير أننا نرفض العيش مع قاتل..
أنت لم تولد لبدائيتنا هذه،
أنت تروم الحرّية لنفسك وحدها
سيكون صوتك فضيعا في أسماعنا،
إن نفوسنا لطيبة ووجلة
وأنت حقود وجريء.. فاتركنا إذن
وأعذرنا.. ولتصحبك السلامة)
هكذا تكلّم.. وكان للغجر ضجيج،
إن مخيمهم ليرتحل
من وادي الليلة الرهيبة
وسريعا ما تواروا جميعا
في رحابة السهوب.. عربة واحدة فحسب
مغطّاة ببساط هزيل
لم تزل واقفة في الحقل الدامي.

هكذا أحيانا، قبيل الشتاء
في الصباح الضبابي،
حين يرتفع عن الحقل
سرب من الغرانيق المتأخرة
ويقلع، جنوبا، مطلقا صرخاته،
ويتخلّف أحدها في كآبته
مدلّيا جناحه الجريح،
فهو مصاب برصاصة قاتلة.
اللّيل قد هبط، وفي العربة المظلمة،
تحت سقفها المرفوع إلى الصبح
ما امتدت يد لإيقاد ضوء
أو عرفت عين نوما.

خاتمة
هكذا تنتعش في ذاكراتي الضبابية،
بقوة الشعر السحرية،

رؤى ماض مشرق
أو قاتم حزين.
في تلكم الجهات حيث تعالى طويلا
دويّ المعارك الرهيب،
حيث أقمنا جنوبا
حدودنا المقتدرة
حيث نسرنا القديم ذو الرأسين
ماانفك هادرا بأمجاده،
كنت ألتقي وسط السهوب
على تخوم المخافر المتقادمة
بالعربات الغجرية الوديعة،
بسليلي الحرية والفاقة
وكثيرا ما كنت أتتبع في البراري
جماعاتهم المتبطّلة،
مقتسما معهم واجباتهم الفقيرة
أو ناعسا أمام نيرانهم
وفي تجوالهم المتباطئ
لكم أحببت بهجة أغانيهم المدوية
وطويلا كان يتردد على فمي
اسم ماريولا الرقيق
غير أن السعادة المفتقدة بينكم أيضا
يا أبناء الطبيعة المساكين
فتحت خيامكم المثقبّة
تكمن أحلام موجعة
وبيوتكم المترحلّة
أدركتها القفار المصائب
فأينما نتوجه ثمة رغبات قاتلة
وأقدار لا رادّ لها.

قائمة المراجع:

1- أنطنيوس بطرس، "الأدب تعريفه أنواعه مذاهبه"، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان، دط 2005.
2- أحمد أمين زكي نجيب محمود، قصة الأدب في العالم"، مكتبة النهضة المصرية، دط، 1955.
3- أبو العيد دودو، الكسندر بوشكين من المسرح العالمي"، الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط 1976.
4- إسماعيل العربي، "نماذج من روائع الأدب العالمي"، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دط 1968.
5- ايليا الحاوي، "الرومانسية في الشعر العربي والغربي"، دار الثقافة بيروت لبنان، ط2، 1983.
6- الشيخ جعفر، "بوشكين قصائد مختارة، الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1981.

7- حسام الخطيب، محاضرة في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية، مكتبة الطربين، د.ط. ، 1984، 1985.
8- روبير جاكنر وجيرالد انسكو، "الرومتيكية مالها وما عليها، ت، د/ أحمد حمدي محمود، مراجعة أحمد خاكي، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، دط، 1986.
9- رفعت سلاّم، بوشكين "الغجر وقصائد أخرى"، دار ابن خلدون، ط1، 1982.
10- زبير دارقي، محاضرات في الأدب الأجنبي"، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، دط، 1991.
11- عبد العاطي شلبي، "فنون الأدب الحديث، المكتب الجامعي الحديث، ط1، 2005.
12- فايز ترحيني، "الدراما ومذاهب الأدب"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1988
13- محمد غنيمي هلال، "الرومانتيكة"، دار العودة، بيروت، دط، 1993.
14- مارك سلونيم، "مجمل تاريخ الأدب الروسي، تـ صفوت عزيز جرجس، راجعه علي أدهم، دار التضامن للطباعة والنشر، دط، 1967.
15- ناصر الحلاني، "من اصطلاحات الأدب الغربي"، دار المعارف بمصر، دط، 1959.
16- نسيب نشاوي، "مدخل إلى دراسة المذاهب الأدبية في الشعر العربي المعاصر الاتباعية الرومانسية ـ الواقعية ـ الرمزية ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، 1984.
17- يوسف عيد، "المدارس الأدبية ومذاهبها"، القسم التطبيقي دار الفكر اللبناني بيروت، ط1، 1994.

فهرس الموضوعات

- كلمة شكر
- الإهداء
- مقدمة..... 1
الفصل الأول: I ماهية الرومانسية
- تحديد مصطلح الرومانسية..... 4
- أهم روادها..... 5
- الرومانسية الغربية..... 6
II- عوامل نشأتها:
- العامل الاجتماعي والسياسي..... 8
- العامل الفلسفي..... 9
- العوامل الأدبية..... 9
III- خصائصها:
- الأحاسيس والمشاعر..... 11
- الخيال..... 12
- الأحلام..... 13
- اللون المحلي..... 13
- التعبير الحرّ..... 13
VI- قضاياها:
- القضايا العامة "الفرد، المجتمع، الدين"..... 14

- القضايا الفنية "الشعر، القصة، المسرحية"..... 16

الفصل الثاني: ترجمة لحياة الكسندر بوشكين:

I- الأوضاع التي كانت سائدة في الأدب الروسي..... 21
II-ا لرومانسية في الأدب الروسي..... 22
III-الكسندر بوشكين:..... 23
- مولده..... 23
- أصله..... 26
- وفاته..... 26
- أدبه..... 27

الفصل الثالث: الرومانسية عند الكسندر بوشكين في نموذج الغجر

I- قصيدة الغجر..... 33
II- محتوى القصيدة..... 33
III- الرومانسية عند بوشكين (دراسة القصيدة)..... 36
خاتمة..... 44
الملحق..... 45
قائمة المصادر والمراجع..... 69